وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي –الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

العلاقات السياسية والإقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن18م

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

– إعداد الطلبة :

إبراهيم جلالي

محمد شعيبي

أحمد مرزوقي

– تحت إشراف الأستاذ:

– كمال مايدي

السنة الجامعية:2016/2015

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى من كان سبب وجودي في هذه الحياة
وقال فيهما رب السموات والأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما".

إلى النور الساطع الذي أنار دربي وذلل الصعاب التي اجتاحت طريقي إلى من كرس حياته لتربيتي وضحى بكل ما يملك من أجل أن يعلمني ليرى حلمه يتحقق إلى سندي في الحياة ومثلي الأعلى إلى أبي الغالي **محمد** حفظه الله ورعاه.

إلى من قال فيها تبارك تعالى: "الجنة تحت أقدام الأمهات" إلى التي حملتني وهنا على وهن (أمي) إلى من وهبتني الحياة وترعرعت بين أحضانها وغمرتني بفيض حبها وحنانها إلى من كانت سبب وصولي إلى هذه الدرجة، إلى جوهرتي الغالية وحبي الأبدي (أمي) الحبيبة **ميمونة** حفظها الله ورعاها.

إلى الإخوة الأخوات حفظهم الله لنا.و إلى خطيبتي وردة.

إلى كل من يحمل لقب جلالي خصوصا أعمامي وزوجاتهم وأولادهم، وعماتي وأزواجهم وأولادهم وإلى كل أخوالي وزوجاتهم وأولادهم.

إلى عالم الحب والصداقة إلى كل الذين تقاسمت معهم أجمل وأحسن اللحظات خلال مشواري الجامعي، إلى كل زملائي في قسم التاريخ خصوصا شعيبي ، مرزوقي ، بوزيد ،سليم ، قحماني ، روادي ،عليلي، لويبدة.طاهر،بن زيان،

إلى كل أساتذتي الكرام من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية.

إلى كل طلبة قسم التاريخ 2016/2014.

إلى كل أساتذتي بجامعة غرداية واخص بذكر بن على، بوسعد، مديني، بن خروف، ال سيدي الشيخ، كواتي.تكيالين، بوساليم، ثليجي.

الى كل سكان الحاج المشري واخص بذكر، زروالي جلول،عمر يوسفي، احمد وهاب،مشري وهاب، ومدير المكتبة قويدر وهاب،موسي، مصطفي، ناصر ،تاج الدين،احمد،محمد بروبي.

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد أقدم هذا العمل المتواضع.

إبراهيم

إهداء

إلى غمرة الحنان ومنبع العطاء والوفاء، والحب المتدفق "إليك أمي الغالية" خيرة

إلى رب نعمتي ورعايتي إلى من ينطق له قلبي بأسمى معاني الحب والتقدير ،إلى كل من يأنس ويطمئن له قلبي وكان سر نجاحي ومثابرتي" أبي الحبيب " حمزة. وإلى عمي الوحيد عبد القادر.

وإلى إخوتي: بلقاسم ، موسى ، الحاج ،عز الدين أحمد ،و أختاي الصغيرتين ، عزة و الخالدية ، وكل العائلة، وإلى جدتي أمباركة وجدتي زينب ،وإلى روح جدي الحاج محمد و جدي النعيمي رحمهما ،

وإلى من شجعني ووقف إلى جانبي في مشواري الدراسي و ساعدني الأستاذ الرّوان صغير ،وإلى زملائي بالجامعة وكل طلبة تخصص تاريخ الحديث و المعاصر ، وخاصة الفوج الأول ،و إلى أصدقائي : عمر روادي ، إبراهيم جلالي ، العمري عليلي، محمد بلقاسمي ، خالد روندالة ، عبد الحق جودي ،محمد بروبي ، عبد القادر بوزيد ،سليم ،قحماني خليفة ،عبد بن بريكة ، وإلى كل من عرف محمد شعيبي من قريب أو من بعيد وأتمنى لهم النجاح في حياتهم.

إلى من شاركني في إعداد هذه المذكرة " إبراهيم جلالي و أحمد مرزوقي ، إلى جميع الأساتذة الذين أشرفوا علينا طيلة المسار الدراسي ، وعلى رأسهم الأستاذ كمال مايدي الذي كان المشرف ، والذي ساعدنا في إعداد هذه المذكرة .

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع

قال تعالى " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا "

شعيبي

كلمة شكر وتقدير

حمد الله ونشكره على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل المتواضع ونتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الخالص للأستاذ المشرف "كمال مايدي" على قبوله الإشراف على هذه الدراسة، وعلى النصائح والإرشادات القيمة التي أفادنا بها طوال مدة إنجاز هذا العمل.

كما نتقدم بالشكر الخالص والجزيل إلى كل أساتذة قسم التاريخ بدون إستثناء

كما نشكر كل من ساعدنا ولو بكلمة طيبة، أو نصيحة قيمة.

إلى كل أولئك جميعا، منا جزيل الشكر والتقدير.

جلالي ،شعيبي ، مرزوقي

أهدي ثمرة عملي وكل نجاح حققته في حياتي.

إلى التي بها ينطق اللسان دائما بحظورها وحتى في غيابها التي تسكن القلوب دون أن تطرق أبوابه والتي بدعائها أنارت لي طريق النجاح وبحنانها أشبعتني ونصائحها أفادتني وفي قلبها أسكنتني وضمتني الغالية عندي والعزيزة إلى قلبي أمي أمي أمي الحنونة .

كما أهدي هذا العمل إلى من كان بمثابة الصديق والأخ والأب في نفس الوقت أبي العزيز الذي بنصائحه واصلت دراستي وحققت غايتي وبفضل مساعدته المادية والمعنوية ما كنت لأصل إلى ماوصلت إليه فيا رب احفظهما لي .

كما أهدي هذا العمل إلى من في وسطهم تربيت وفي حنانهم ترعرعت وكبرت أ ختي أمينة و أولادها،و أختي الزهرة و خاصة ابنها العزيز على قلبي بوبكر ، و إلى أخي عبد الجبار و زوجته و أولاده و أخي عبد الحميد و زوجته ، و إلى اخوتي مجدوب و نور الدين ومحمد حفظهم الله ،ومن دون أن أنسى الذي معه ذقت طعم الجامعة بحلوها ومرها الذي كان بمثابة أخ وصديق في نفس الوقت والذي بتعاونه معي أنجزنا هذا العمل العزيز ابراهيم جلالي .

كما أهدي هذا العمل إلى : زليخة ، أسماء ،حليمة ،الأستاذ الدكتور لخضر لويبدة ، و الأستاذ العزيز قطاف بلقاسم .

وإلى جميع أصدقائي الذين عرفتهم بالجامعة، الإقامة الجامعية بوشريط ، وإلى كل الذين حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم مذكرتي .

- سلام إلى الذين أحبهم -

إهداء أحمد مرزوقي

إهداء

إلى غمرة الحنان ومنبع العطاء والوفاء، والحب المتدفق "إليك أمي الغالية" خيرة

إلى رب نعمتي ورعايتي إلى من ينطق له قلبي بأسمى معاني الحب والتقدير ،إلى كل من يأنس ويطمئن له قلبي وكان سر نجاحي ومثابرتي" أبي الحبيب " حمزة. وإلى عمي الوحيد عبد القادر.

وإلى إخوتي: بلقاسم ، موسى ، الحاج ،عز الدين أحمد ،و أختاي الصغيرتين ، عزة و الخالدية ،

وإلى جدتي أمباركة وجدتي زينب ،وإلى روح جدي الحاج محمد و جدي النعيمي رحمهما الله ،

وإلى من شجعني ووقف إلى جانبي في مشواري الدراسي و ساعدني الأستاذ الرّوان صغير ،وإلى زملائي بالجامعة وكل طلبة تخصص تاريخ الحديث و المعاصر ، وخاصة الفوج الأول ،و إلى أصدقائي : عمر روادي ، إبراهيم جلالي ، العمري عليلي، محمد بلقاسمي ، خالد روندالة ، عبد الحق جودي ،محمد بروبي ، عبد القادر بوزيد ،سليم ،قحماني خليفة ،عبدالله بن بريكة ، وإلى كل من عرف محمد شعيبي من قريب أو من بعيد وأتمنى لهم النجاح في حياتهم.

إلى من شاركني في إعداد هذه المذكرة " إبراهيم جلالي و أحمد مرزوقي ، إلى جميع الأساتذة الذين أشرفوا علينا طيلة المسار الدراسي ، وعلى رأسهم الأستاذ كمال مايدي الذي كان المشرف ، والذي ساعدنا في إعداد هذه المذكرة كما لا أنسى أصدقائي عبد القادر سالمي ،محمد بلقاسمي، حبشي محمد ، هيزومي لمين .

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع

قال الله تعالى " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا "

محمد شعيبي

قائمة المختصرات الواردة في الدراسة:

- باللغة العربية:

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة متلاحقة
ط	طبعة
ج	جزء
ب.ت	بدون تاريخ
مج	مجلد

باللغة الفرنسية:

P	Page
S.D	Sans date

مقدمة:

لقد تنوعت الدراسات واختلفت آراء المؤرخين،الذين كتبوا حول تاريخ إيالتي الجزائر وتونس،مما جعل الدارس لما هو متوفر من مصادر و مراجع،تتعلق باكتشاف العلاقات التي كانت تربط الايالتين خلال القرن الثامن عشر .

ويظل موضوع العلاقات الدولية ميدان دراسة وبحث ضمن نطاق الاهتمامات الأكاديمية، وتعد العلاقات السياسية من أهم العلاقات الثنائية، ومتانتها تقوى بقيمة العلاقات التي تتميز بترابطها، فالعلاقات السياسية والاقتصادية بين الإيالتين تعود إلى القرن السادس عشر، أي بعد إلحاق تونس بالدولة العثمانية على يد حكام الجزائر بقيادة علج علي سنة 1574م،واستمرت طيلة الحكم العثماني للإيالتين .

لكن العلاقات السياسية والاقتصادية بين الإيالتين خلال القرن الثامن عشر كانت لها ميزةخاصة وذلك بتأثير عدة عوامل منها: تغيير نظام الحكم، حيث تضاءلت تبعية الجزائر للدولة العثمانية منذ سنة 1711م، وظهور دايات أقوياء مثل: علي شاوش، ومحمد عثمان وغيرهم،ومن جهة تونس تأسيس الأسرة الحسينية التي جعلت نظام الحكم وراثي، والأهم من ذلك ظهور شخصية حمودة باشا، الذيجاء بإصلاحاتهامة بتونس في نهاية القرن.

❖ دوافع اختيار الموضوع:

إن أهمية الأحداث التي شهدتها الجزائر وتونس طيلة القرن الثامن عشر، وما أحدثته من تغيرات على الصعيدين الداخلي والخارجي،جعلتنا نهتم بدراسة العلاقات السياسية والاقتصادية بين الإيالتين، والتركيز بشكل كبير على تدخل الجزائر المستمر في شؤون تونس،ومن بين الدوافع نذكر:

1- رغبتنا في معرفة التاريخ السياسي المتداخل بين الإيالتين، وتأثير الجزائر فيه .

2- أهمية الفترة الزمنية التي امتازت بها الإيالتين حول مظاهر الازدهار والتفوق اللتين تم الوصول إليهما حيث نجد أن هذه الفترة بالنسبة للجزائر تمثل الانفرادبحكم الدايات، أما بالنسبة لإيالة تونس فانها امتازت بحكم الأسرة الحسينية التي حكمت تونس طيلة القرن.

3-معرفة المصادر المحلية الجزائرية والتونسية، ونظراتها لموضوع العلاقات السياسية خاصة في فترة الحرب.

❖ الهدف من الدراسة :

إن الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على العلاقات السياسية والاقتصادية بين الإيالتين، وذلك بالخوض في دراسة فترة السلم والحرب،ومعرفة العوامل المؤثرة في توتر العلاقات،وإلى أي مدى نجحت الجزائر في التدخل في شؤون تونس .

وكذلك معرفة طبيعة العلاقات التجارية، ومناطق التبادل التجاري، ومعرفة أهم الأسواق والطرق التجارية التي ساهمت في تطوير العلاقات الاقتصادية .

❖ الإطار الزماني والمكاني للدراسة :

الإطار الزماني للموضوع مرتبط بالقرن الثامن عشر، فبالنسبة لإيالة الجزائر مرتبط بفترة حكم الدايات، أما إيالة تونس فيتعلق بفترة الأسرة الحسينية وحتى نهاية حكم حمودة باشا، فالفترة الزمنية تمتد من 1700حتى 1814.

أما الإطار المكاني مرتبط بايإلتي الجزائر وتونس، وبالأخص بالنسبة للجزائر بايلك الشرق، أما تونس فبالأخص مناطق الصراع وهي: الكاف، القيروان، تونس العاصمة، وجبل وسلات،ومناطق التبادل التجاري(قسنطينة، قفصة، الوادي...إلخ).

❖ إشكالية الدراسة :

أما عن الموضوع فهو ذو شقين سياسي واقتصادي،فإن الإشكالية ستتنوع حسب المجالين ولذا نطرح جملة من التساؤلات على النحو التالي :

-كيف كان الوضع السياسي والاقتصادي في الإيالتين ؟.

- بماذا امتازت العلاقات السياسية طيلة القرن الثامن عشر ؟.

- ما هو موقف الجزائر من قيام الأسرة الحسينية ؟،وكيف أثر ذلك على الجزائر ؟.
- ما هي تداعيات الفتنة الباشية على العلاقات ؟.

- هل سيطرةالجزائر على تونس كانت مستمرة ؟، أم انقلبت الأدوار ضدها ؟.

- بماذا امتازت طبيعة العلاقات التجارية ؟.

- ما هي أبرز طرق وأسواق التبادل التجاري؟.

❖ الدراسات السابقة :

إن أهمية هذه الفترة في تاريخ العلاقات بين تونس والجزائر، عنيت عناية خاصة من طرف الباحثين الجزائريين، خاصة في الدراسات الأكادمية، وفي رسائل الماجستير، فمن بينها دراسة الدكتور لأستاذعمار بن خروف بعنوان :"علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات (1671م-1830م) "، وللأسف لم نستفد منها .

أما رسائل الماجستير، فهناك رسالتين مهمتين في الموضوع، وهما: رسالة حصام صورية تحت عنوان "العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر "، والتي تناولت العلاقات السياسية والاقتصادية،والثانية رسالة عطية محمد المعنونة ب "الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية (1587-1830م)"، والتي تناولت الصراع بين الإيالتين في القرن الثامن عشر .

❖ المنهج المتبع في الدراسة :

لقد اتبعنا في دراستنا المنهج التاريخي التركيبي، الذي يساعد على وصف الأحداث التاريخية، وتتبع الأحداث والوقائع والأوضاع السائدة،بالإضافة إلى المنهج التحليلي، والمنهج المقارن، وذلك لتحليل الأحداث التاريخية المرتبطة بالعلاقات خلال النصف الأول والثاني من القرن 18م ومقارنة تطوراتها.

❖ الخطة المتبعة :

اعتمدنا في دراستنا على خطة شملت على مقدمة وأربع فصول، وخاتمة، نلخصنها فيما يلي :

- **الفصل الأول:** كان عنوانه "لمحة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية بالإيالتين خلال القرن الثامن عشر "، مقسم إلى أربع مباحث مسطرة معنونة على الشكل التالي:

- **المبحث الأول**: "الوضع السياسي في الجزائر "،تناولنا فيه النقاط المهمة، التي لها علاقة بانفصال الجزائر الشبه تام عن الدولة العثمانية، وكذلك تحرير وهران سنة 1792م،وصف نظام حكم الدايات في الجزائر .
- **المبحث الثاني**: "الأوضاع الاقتصادية في الجزائر "،يتناول موضوع سيطرة اليهود على الاقتصاد الجزائري، وخاصة في نهاية القرن، ثم تحدثنا عن الامتيازات الفرنسية وتأثيرها على الاقتصاد الجزائري بعد تأسيس الشركة الإفريقية،كما أدرجنا كذلك الإصلاحات الاقتصادية التي قام بها صالح باي .
- **المبحث الثالث** : "الوضع السياسي في تونس"،والذي تطرقنا من خلاله إلى تأسيس الأسرة الحسينية، والفتنة الباشية، وكذلك إصلاحات حمودة باشا السياسية.
- **المبحث الرابع**: "الوضع الاقتصادي في تونس "،تضمن دور الأسرة الحسينية في ازدهار الاقتصاد المحلي، والامتيازات الفرنسية في تونس، بالإضافة إلى سياسة حمودة باشا الاقتصادية .

- **الفصل الثاني**: "العلاقات السياسية بين السلم والتوتر (1700-1735م)"، قسمناه إلى ثلاث مباحث، وهو يعتبر صلب الموضوع في العلاقات السياسية.
- **المبحث الأول** : "توتر العلاقات الجزائرية التونسية (1700-1705م)"، تحدثنا فيه عن التحالف التونسي المغربي ضد الجزائر 1701م،والصراع أثناء فترة إبراهيم الشريف (1702-1705م)، بالإضافة إلى أثر قيام النظام الحسيني على العلاقات .
- **المبحث الثاني**: "عودة السلم (1706-1728م)"،تحدثنا فيه عن أسباب عودة السلم المرتبطة بكل إيالة، فالجزائر اشتغلت بتحرير وهران، وتقوية هيمنتها بعد انفصالها عن الباب العالي،أما تونس فاشتغلت بإصلاح الوضع الداخلي في المجال العسكري والاقتصادي وحتى الثقافي.
- **المبحث الثالث** : "الفتنة الباشية وتداعياتها على العلاقات "، والذي أدرجنا فيه تأثير الفتنة الباشية على الوضع السياسي في تونس،ثم التحالف الجزائري مع علي باشا.

- **الفصل الثالث**: هو فصل تكميلي للفصل الثاني، عنوانه"انقلاب الأدوار علي العلاقات (1740-1814م)، وقسمناه إلى ثلاث مباحث وهي:
- **المبحث الأول** : " ثورة يونس باشا وتأثيرها على الجزائر"، تحدثنا فيه عن ثورة يونس باشا ضد أبيه وتأثيرها على العلاقات السياسية بين البلدين .

- **المبحث الثاني** : " تمرد علي باشا على الجزائر"، تناولنا من خلاله بعض الأحداث والقضايا منها:استنجاد أبناء الحسين بن علي بالجزائر، وتقديم الدعم لهم، وحملة الجزائر على تونس سنة1735م،للقضاء على علي باشا .
- **المبحث الثالث**: "حمودة باشا ينتفض ضد الجزائر "، حيث أبرزنا من خلاله شخصيته،ثم صراعه مع صالح باي، وفي الأخير تناولنا حملته ضد الجزائر سنة 1807م.
- **الفصل الرابع**: " العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر"، والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث.
- **المبحث الأول** :"الإنتاج الزراعي والحرفي في الإيالتين "، تحدثنا من خلاله عن الإنتاج الزراعي في الجزائر، وركزنا عن أهم المنتوجات الفلاحية وأماكن تواجدها،ودور الأهالي في ازدهارها، وكذلك أهم المنتوجات الصناعية، وخاصة الحرف والصناعات الحربية، وكذلك الإنتاج الزراعي والصناعي في تونس، الذي كان مزدهرا بشكل كبير في عهد الأسرة الحسينية .
- **المبحث الثاني** :"طبيعة العلاقات التجارية "، الذي تطرقنا من خلاله عن أهم الصادرات والواردات التي كانت بين الإيالتين، بالإضافة إلى العملة والمكاييل المتبادلة بين الايالتين.
- **المبحث الثالث** : "الطرق التجارية والقوافل والأسواق "، تحدثنا فيه عن الطرق الرئيسية بين الإيالتين، وأن أهم القوافل والأسواق المشتركة، وخاصة الواقعة في الشرق الجزائري .
- **الخاتمة**:تضمنت أهم النتائج المتعلقة بالبحث .

❖ **التعريف بأهم مصادر ومراجع الدراسة :**

- **المصادر العربية :**

- **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان**: لمؤلفه أحمد بن أبي الضياف الذي عاش في فترة ممتدة من (1804-1874) والذي يتألف من ثمانية أجزاء، تناول أهم أحداث القرن الثامن عشر، ولقد استفدنا من الجزء الثالث،الخاص بحمودة باشا.
- **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي** : لمؤلفه محمد الصغير بن يوسف الباجي، والمتكون من أربعة أجزاء،ولقد استفدنا منه ما يتعلق بالفتنة الباشية وعهد علي باشا.

- **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية** : لأبي عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي المولود سنة 1225هـ، وقد ذكر فيه أخبار أمراء تونس من الفتح الإسلامي إلى غاية عهد المشير الباشي أبي العباس أحمد، ولقد أخذنا منه ما يتعلق ببايات تونس في القرن 18.
- **ذيل بشائر أهل الإيمان لفتوحات أل عثمان** : لمؤلفه حسين خوجة،حيث كان الكاتب من المقربين لحمودة باشا باي تونس، وكتب بطريقة مفصلة عن تاريخ تونس،وساعدنا على معرفة الخلاف داخل البيت الحسيني وخاصة عهد حسين بن على .
- **تاريخ قسنطينة ومجاعات قسنطينة** : لصالح العنتربي،يعتبر المصدر الأول مهما وأساسيا بالنسبة لتاريخ قسنطينة، وخاصة داياتها حيث يتعرض لحياة كل منهم بالسرد والتفصيل .

أما الثاني فيتناول فيه تاريخ قسنطينة مركزا على أهم الحوادث التي عرفتها وخاصة على أشهر المجاعات التي حلت بها، ولقد استفدنا منه، عن علاقة صالح باي بحمود باشا.

- **طلوع سعد السعود في أخبار وهران وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م**: للاغا إسماعيل بن عودة المزاري، فهذا الكاتب يعتبر موسوعة تاريخية، يحتوي على جزئين، ولقد استفدنا منه ما يتعلق بتحرير وهران .

- **المراجع** :

- **الحوليات التونسية**: لمؤلفه ألفونص روسو، وهو كتاب يتضمن تاريخ إيالة تونس بالتفاصيل، والحروب التي خاضتها مع إيالة الجزائر، ويعتبر من أهم الكتب في دراستنا.
- **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة الممتدة مابين(1792 – 1830م)**: لصاحبه العربي الزبيري الذي تناول فيه العلاقات التجارية بين الشرق الجزائري مع دول أوروبا وأفريقيا والتواجد الاسباني ببايلك الشرق خاصة بعد توقف الشركة الملكية الإفريقية عن النشاط بعد الثورة الفرنسية،ولقد استفدنا منه بشكل كبير في العلاقات الاقتصادية.
- **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** : لصاحبه عزيز سامح ألتر، والذي اختص بتاريخ الجزائر وتونس خلال العهد العثماني، ولقد استفدنا منه بشكل كبير في الصراع الجزائري التونسي، ويعتبر من أهم المراجع المتعلقة بالفترة الحديثة لشمال أفريقيا .
- **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** : لمبارك الميلي، والذي يحتوي على ثلاثة أجزاء، ولقد استفدنا من الجزء الثالث المتخصص بالفترة العثمانية وبالأخص في العلاقات السياسية .

- **سياسة حمودة باشا**:لمؤلفه راشد الإمام، الذي يتناول فيه شخصية حمودة باشا بتفصيل مبرزا سياسته بشكل كبير في المجال السياسي والاقتصادي، ولقد استفدنا منه فيما يخص إصلاحات حمود باشا السياسية والاقتصادية، وكذلك حملته على الجزائر .
- **ورقات جزائرية،منطلقات وأفاق، النظام المالي، دراسات أندلسية** : لمؤلفها ناصر الدين سعيدوني،والتي تعتبر من أهم الكتب في تاريخ الجزائر الحديث،وفيما يخص النظام المالي فهو من أهم الكتب التي اهتمت بدراسة جوانب من الاقتصاد الجزائري .
- **تاريخ تونس**: للشريف محمد الهادي،الذي تطرق في كتابه لتاريخ تونس من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال،إلا انه لم يهتم بشكل كبير بالفترة الحديثة .

❖ **الصعوبات التي واجهتنا:**

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات فهي كالأتي:

- مشكلة اللغة فالكثير من المصادر والمراجع باللغة الفرنسية التي وفقت عائقا للاستفادة منها بشكل جيد ،لان الكثير منها كتب بالفرنسية والاسبانية .
- صعوبة لغة المصادر المحلية مثل:كتاب المشرع الملكي والتي تحتاج إلى الشرح لما يوافق لغة العصر.
- قلة المادة العلمية المتعلق بالعلاقات الاقتصادية،باستثناء كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري للعربي الزبيري.
- صعوبة الحصول على المصادر المتعلقة بتاريخ قسنطينة مثل:تاريخ قسنطينة لمؤلف مجهول.
- عدم حصولنا على المعاهدات التي وقعت بين الطرفين خلال فترة السلم والحرب ،لان جل المصادر والمراجع اهتمت بأحداث الحملات العسكرية ومخلفاتها.

إن دراستنا للأوضاع السياسية والاقتصادية في الإيالتين يساعدنا على فهم العلاقات بين البلدين، وهو عبارة عن فصل تمهيدي يساعدنا على فهم الظروف والأسباب التي ساهمت في تطور العلاقات السياسية والاقتصادية بينهما.

وبنا أن فترة القرن الثامن عشر امتازت باستقلالية تامة للإيالتين عن الدولة العثمانية،فالجزائر شهدت حكم الديات التي تعتبر أطول فترة،أما تونس فشهدت فترة حكم الأسرة الحسينية.

المبحث الأول:الأوضاع السياسية في الجزائر خلال القرن 18م.

امتازت الجزائر في هذه الفترة بعدة أحداث سياسية هامة، بحيث كان لها تأثير كبير على الوضع السياسي، فمن بينها نذكر:

1-علاقة الجزائر بالدولة العثمانية سنة1711م:

لقد عرف نظام الحكم بالجزائر العثمانية تطور ملحوظ، فانتقل من الارتباط المباشر بمركز الخلافة باستانبول في عهد البايلربايات (1518-1588م)،وفي فترة حكم الباشوات (1588-1659م)، إلى استقلال فعلى لا قانونيمع تولىحكم الأغوات (1659-1671م)،والديات الأوائل(1671-1710م)،ليتحول إلى تبعية شبه تامةللدولة العثمانية في عهد ديات الباشوات[1].

وتعتبر سنة 1711م، كتاريخ لاستقلال الجزائر عن الدولة العثمانية سياسيا،ومن مظاهر هذا الاستقلال رفض الداي على باشامبعوث الباب العالي إلى الجزائر وهو إبراهيم باشا،بل نجح الدايي اكتساب لقب الباشا الشرفي من الباب العالي، وهذا الأخير اعترف بسياسة الأمر الواقع، فأصبح الداي يجمع بين اللقبين والسلطتين الداي والباشا[2]

[1]-ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر منطلقات وأفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**،البصائر،الجزائر، 2013م،ص171.

[2]- رقية شارف: **تشكيل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية، الفترة الحديثة** ،مجلة الدراساتالتاريخية،لعدد الثالث عشر، جامعة الجزائر2،قسم التاريخ،2011م،ص137.

ومن مظاهر السيادة أيضا استعمال رايات متعددة حسب شهادة الأسير الألماني كاثكارت في مذكراته في أواخر القرن،بحيث ذكر أن الجزائريين يرفعون يوم العيد العلم العثماني على قصر الداي،و الشعار الجزائري علىالتحصينات، أما الشعار الإسلامي فيرفع يوم الجمعة [1].

واتسمت السياسة الخارجية للجزائر بالدولة العثمانية بالاستقلالية، وكان التعاون فيما بينهما محدود كإرسال الدولة العثمانية المجندين إلى الجزائر، وكذاك التعاون في العمل الجهادي، ولكن كانت العلاقة بينهما علاقة السيد بالسيد، لاتربط بينهما سوي روابط الدين والمصالح المشتركة[2].

2- تحرير وهران 1792م:

تعرضت الجزائر طيلة القرن الثامن عشر للعديد من الحملات الاسبانية على الجزائر كانت مع مطلع القرن، واستمرت حتى تحرير وهران، فكان أول تحرير لوهران والمرسى الكبير في 1707م، بقيادة مصطفى بوشلاغم، وتمكن العثمانيون من تحرير المدينة في 20جانفي 1708م،ونقل مقر البايليك من معسكر إليها، وتم إعادة بنائها[3].

لكن الإسبان أعا دواإحتلال وهران سنة 1732م، وكانت الحملة في 15جوان بقيادة الدوق دي مونتيمار doc demontemer، وبذلك استطاع الإسبان استرجاع وهران وتحصينها أكثر من قبل والاحتفاظ بها لمدة أطول حتى سنة 1792م [4]، ومن أهم المعارك التي كانت بين اسبانيا

---

[1]- كاثيكارت : **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في الغرب** ، تر ، إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982م،ص32.

[2]- وليام شالر: **مذكرة وليام شارل قنصل أمريكا بالجزائر(1816- 1824م)**، تع، تح، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر، 1982م، ص65.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: **دراسات أندلسية، مظاهر التأثير لإبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**،البصائر،الجزائر،ط3،2001م، ص154.

[4]- الاغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**،تح، يحي بوعزيز،ج1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،ط1،1990،ص237.

والجزائرمعركة الحراش سنة 1775م التي قادها الأميرال اوريلي orelyوالتي انطلقت في 23 جوانلكنها فشلت بسبب استعدادات الجزائر التي تصدت للحملة[1].

وفي12 جويلية1791 م،توفي الداي محمد عثمان وخلفه الداي حسن باشا،وكانت الأعمال الحربية حول وهران مستمرة، وكانت اسبانيا لتزال تلح على عقد صلح مستجيبة لكل ماتطلبه الجزائر منها، فقبل الداي ورجال الديوان عقد الصلح على الشروط التالية:

1- تنسحب اسبانيا من وهران والمرسى الكبير دون أي قيد، أو شرط.

2- تدفع إسبانيا للجزائر سنويا مقدار120000 فرنك.

3- ترجع إسبانيا للجزائر كل القنابل والمدافع والذخيرة التي غنمتها عند استرجاعهالوهران والمرسي الكبير.

4- تحمل سفينة إسبانية بصفة رسمية إلى إستانبول مفتاحين رمز استسلام وهران والمرسي الكبير، مع جرتين من ماء عيون وهران للخليفة السلطان العثماني كبشرى بالفتح والتأكيد لرابطة مع الخلافة[2].

5- يفتح المرسي الكبير للتجارة الإسبانية وحدها دون غيرها من المدن.

6- كل سفينة إسبانية ترسو في ميناء المرسي الكبير تدفع 55ريالا،منها 40 لبيت المال والباقيلقائد الميناء.

7- بإمكان الإسبان أن يشتروا كل سنة ألف حمولة من القمح بسعر السوق دون أي تدخل من الباي.8- وان يكون لإسباني مركز تجاري في بلدة جامع الغزوات،وان تباشر صيد المرجان على الساحل الغربي للجزائر[1].

[1]- الحاج احمد الشريف الزهار: **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر** ، تح،احمد توفيق المدني،دار البصائر،الجزائر،2009م، ص172.

[2]- محمد بن الموفق : **العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر واسبانيا (1786–1830م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، السنة الجامعية (2010- 2011م)، ص48 .

وكان هذا الاتفاق يوم 9سبتمبر1791م،وابتدأ انسحاب الإسبان من وهران نهائيا يوم 17ديسمبر1791موبعدها جاءت البشائر بفتحها،وانتقل الباي محمد إليها وسكنها،وأصبحت مسكن للبايات من بعده،ودخل الناس إليها وتم تعميرها[2].

3- نظام حكم الديات:

ليس لداي سلطة غير الأمر بتطبيق القوانين المدنية والعسكرية،والإشراف على حصون المدينة،وتنظيم الجيش،ومراسلة القبائل المختلفة قصد التهدئة والمحافظة على الأمن،وحماية القبائل من سائئ أنواع الظلم، ومن واجبات الداي معرفة مشاعر سكان الإيالة،وسلوك ولاته على كيفية تطبيق العدالة،وأداء هذا الواجب يكون على الدوام موضوع مناقشة بين الداي والديوان[3].

ويعتبر الداي رئيس الدولة وقائدا للقوات النظامية الانكشارية ، وكانت مهامه تشمل الإشراف على اجتماعات الديوان وشؤون الإدارة العامة ، فهو الذي يعين البايات على رئاسة البايلك ويعين الموظفين الرسميين بمختلف المناصب بما في ذلك الحكومة المركزية وهو أيضا صاحب القرار في تسيير الشؤون الخارجية فيعلن الحرب ويوقع معاهدات السلام ويحدد أويفرض حقوق الاستغلال للشركات الأجنبية ويتلقى الضرائب والإتاوات المختلفة من الدول الأوربية[4].

المبحث الثاني: الوضع الاقتصادي في الجزائر خلال القرن18م.

---

[1]-أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792م)**، دار البصائر، الجزائر، ط3،2009م،ص48.

[2]- عبد القادر فكاير : **الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وأثاره (1505- 1792م)** ،دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر ،دار هوم
ة ، الجزائر ،2012م،ص 304.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة : **المرأة** ،تقديم وتحقيق وتعريب،محمد العربي الزبيري،منشوراتanep،الجزائر،2006م،ص87.

[4]- وليام سبنسر:**الجزائر في عهد رياس البحر**، تر، عبد القادر زبادية، ش و ن ت، الحزائر، 1980، ص77.

بالنسبة الوضع الاقتصادي فلم يكن لسلطة العثمانيون في الجزائر الأثر الملموس في ذلك،فلم تتدخل في تحسين وسائل الزراعة البدائية،أوالعمل على الوقاية من الكوارث الطبيعية والأوبئة،أ والاهتمام بالمجاري المائية،بل تركت الأمور على حالها،وإلى جانب ذالك فقد كان لارتفاع نسبة الضرائب على الفلاحين اكبر الأثر على عدم استغلال الأراضي الصالحة للزراعة[1].

لكن الوضع الاقتصادي في الجزائر في القرن 18م،ارتبط بتأثير الأوربي وخاصة الفرنسي،وسيطرة اليهود على الاقتصاد الجزائري وهذا ماسنبرزه في مايلي:

1- سيطرة اليهود على الاقتصاد الجزائري :

لقد ساهم اليهود بصفة عامة في تنشيط اقتصاد البلاد،باعتبارهم أصحاب خبرة في مجال التجارة،مستغلين علاقاتهم مع حكام الايالة، إذمارسوا تجارة القوافل التي تربط بين مختلفالجهات،وركزوا خصوصا على الطريق التجاري الرابط بين الجزائر وقسنطينة[2].

وانعكست الحرية التي تمتع بها اليهود في الجزائر على طبيعة الأنشطة الاقتصادية التي مارسوها،ولقد تواجدوا بقوة في أسواق مدينة الجزائر،والأثر من ذلك منح الدايات وبياتهم لليهود فرصة تمثيلهم محليا ودوليا،وبذلك وسعوا نشاطهمخاصة بعد تأسيس شركة بكري ويوشناق،والتي صارت لها القدرة على ممارسة الاحتكارات الكبرى[3]، وكما مارس اليهود مختلف المهن التي كانت سائدة في الجزائر باستثناء الزراعة وركزوا على الحرف التي تتطلب مهارة عالية، وقاموا باحتكار التجارة في الداخل والخارج[4].

---

[1]- عبد المنعم الخميعي : **الدولة العثمانية والمغرب العربي**،دار الفكر العربي ،القاهرة ،مصر،2006م،ص30.

[2]- كمال بن صحراوي: **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر قي أواخر عهد الديات** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي،معسكر،السنة الجامعية (2007- 2008م)،ص47.

[3]- ارزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519-1830م)**،رسالة دكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر،الموسم الجامعي (2005-2006م)،ص240.

[4]- عفرون محرز: **الروتشيد وآلبكري وتاليران الملفات السياسية السرية في تاريخ الشعوب** ، تر، مسعود حاج مسعود ،دار هومة،الجزائر،2011م، ص12.

ولقد تمكنت شركة بكري وبوشناق سنة 1794م، من الاستحواذ على جميع الامتيازات بسبب الإعلان عن حل الشركة الملكية الإفريقية في 17جوان1794م، وبتالي خلوا الجو للشركةوامتازوا باحتكار تجارة القمح وكانوا اكبر ممول لأوروبا[1].

واستمر تنامي نفوذ اليهودي في الجزائر خلال كامل القرن الثامن عشر ووصل نفوذهم مع نهاية هذا القرن أن صارت عائلة بكري وبوشناق تفاوض مباشرة مع القناصل الأوربيين، وكانوا يمنعون القناصل من الاتصال مباشرة بالدايات، بل توصلوا إلى تعيين وإقالة البايات في الأقاليم، وتحكموا في القرصنة وتدخلوا في تحديد مقدار الضريبة التي تفرض على السكان وكذا الرسوم على التجارة.
وبكلمة مختصرة فقد وصل نفوذ اليهود إلى درجة أن صاروا هم الملوك في الجزائر[2] .
ولم يكن النشاط التجاري في الجزائر خلال القرن 18م، في سيطرة اليهود،بل كان لفرنسا السيطرة أيضا بفضل الامتيازات التي منحت لها في الجزائر مع مطلعالقرن 16م، ولتظهر بقوة في فترة الديات .

2-- الامتيازات الفرنسية وتأثيرها على الاقتصاد الجزائري:

كانت فرنسا تحضي بامتيازات في الشرق الجزائري منذ أن تنازل لها عنها خير الدين بربروس [3] سنة 1520م، في عهد الملك فرانسوا الأول،وكان الغرض منها في البداية السماح للتجار الفرنسيين باستغلال نقط وحدة من الساحل لصيد المرجان،ثم ابرم اتفاق ارتفع بمقتضاه عدد المؤسسات إلى خمس مقابل إتاوة سنوية قدرها ستون ألف فرنك[4].

[1]- عبد الرحمان نواصر: **مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الديات**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،المركز الجامعي بغرداية،الموسم الجامعي(2010-2011م)،ص76.

[2]- عبد الرحمان نواصر:المرجع السابق،ص78.

[3]- اشتهر بلقب بربروس،أي ذو اللحية الشقراء ،أطلق عليه السلطان سليم الأول لقب خير الدين،ولدفي حدود 1472م،بجزيرة مديللي بعد أخوه عروج،اشتغل بالتجارة في مطلع شبابه،وكان له دوركبير في تحرير العديد من المدن،وهو أول من أطلق عليه اسم بايلرباي، انظر: محمد دراجي: **الدخولالعثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512- 1543م)**،تصدير ناصر الدين سعيدوني،شركة الأصالة الجزائر، ط1، 2002م، ص165.

[4]- محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1992م،ص39.

وفي سنة 1741م،سلمت الحكومة الفرنسية كل الامتيازات إلى هيئة جديدة تدعي الشركة الملكية الإفريقية،وصار نشاط المؤسسة لايقتصر على صيد المرجان فقط وإنما اتسع إلى تجارة الحبوبوالجلود والشموع،عملت هذه الشركة على تطور تجارة المرجان وتوسيع مجالات استغلاله، فارتفع عدد سفن صيد المرجان إلى 14 سفينة سنة 1753م، وقامت بتقنيين العلاقات الاقتصادية بين صيد المرجان والشركة، لكن هذه الشركة صمدت إلى غاية 1794م،وعملت على تزويد مقاطعات الجنوب الفرنسي بالموارد الاستهلاكية[1].

فالامتيازات الفرنسية جعلت الاقتصاد الجزائري تحت سيطرتها مما اثر على الاقتصاد المحلى وجعل الجزائر تقع في فخ الديون التيجعلتها فرنسا فيما بعد سبب من أسباب الاحتلال،مما اجبرالجزائر علىتطبق بعض الإصلاحات الاقتصادية.

3- الإصلاحات الاقتصادية :

اهتم صالح باي [2]بتحسين أوضاع الزراعة وتنمية الإنتاج الفلاحي وأدخل منتجات جديدة،واستحدث نظام الري الدائم المعتمد على تشغيل عدد من النواعير بالخامة قرب قسنطينة ،

كما استصلح سهول عين مليلة[3].

[1]-جمال قنان: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث**،المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر،1987م،ص229.

[2]- ولد صالح باي بمدينة أزمير في شبه جزيرة آسيا الصغرى في سنة 1739م،عاش حياة عادية،هاجر إلى الجزائر سنة 1755،والتحق بالمليشيا العسكرية،وعندها برزت شجاعته،عين بايا على قسنطينة ما بين (1771-1792)،أنظر: محمد الصالح العنتري : **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانهما، أوتاريخ قسنطينة** ،تح، يحي بوعزيز،دار البصائر، طبعة خاصة،الجزائر،2009م، ص83.

[3]- نصر الدين سعيدوني: **وراقات جزائرية** ، أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر،ط 2،2008م، ص248.

واهتم بتطوير الموصلات ومراجعة نظام الضرائب، فأخضع جميع الضرائب لضريبة الجبري، وهي 15 صاعا من الحبوب و 10 شبكات تبن، وشجع الصنائع والخرف والتبادل التجاري،فعرفت موانئ الشرق الجزائري نشاط ملحوظ من حيث المبادلات[1].

المبحث الثالث: الوضع السياسي في تونس خلال القرن 18م.

انضمت تونس إلى الدولة العثمانية سنة 1574م،على يد حكام الجزائر، لتصبح إيالة عثمانية، ولقد شهدت تونس تطورات سياسية في نظام الحكم قبل القرن 18م،لكن مع بدايته ظهر انقلاب على السلطة قاده ا إبراهيم الشريف ضد الأسرة المرادية سنة 1702م،وبقي في الحكم حتى سنة 1705م، لكنهلم يستمر طويلا في السلطة بسبب ظهور الأسرة الحسينية التي نتحدث عنها في العنصر الموالي[2].

1- تأسيس الأسرة الحسينية 1705م:

قبل تأسيس الأسرة الحسينية وصف عهد إبراهيم الشريف (1702.1705م)،بكثرة الظلم والاستبداد الذي سلط على الأهالي، بالقتل والسلب والتشريد على يد جند الأتراك الجائرين،ولم تحل سنة 1704 م، حتى شني حربا على طرابلس الغرب،وعلى الجزائر سنة 1705م،التي انهزما فيها[3].

وبعد هزيمة إبراهيم الشريف اختار عسكر الانكشارية دايا جديدا وهو خوجة الأصفر، وكان رجلا حزما، وتعاون الداي والباي تعونا وثيقا لصد الهجوم الجزائري،وفي 07 أكتوبر يئس داي الجزائر مما أبداه سكان تونس من مقاومة عنيدة ،فقرر الانسحاب[4].

---

[1]- نفسه،ص249.

[2]-درنة الأرقش وأخرون : **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر** ،مركز النشر الجامعي، ميدياكوم، تونس، 2003م،ص61.

[3]- محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال** ،تع، محمد الشاوش،دارسارس للنشر،تونس،ط3،1993م،ص76.

[4]- محمد الصالح العنتري : المصدر السابق،ص28.

ولقد كان ذلك مكسب لحسين بن على [1] وعساكره من الأهالي أكثر منه للعسكر التركي،ولقد جني حسين بن على ثمرة الانتصار في المعركة،فاستغل ذلك لتخلص من منافسه الداي الأصفر، فلم يبق أمامه حينئذ إلا أن يحصل من استانبول على أن يجعل حكمه حكما شرعيا، وهذا ما حصل بالفعل بعد أن أعطي فرمان التولية في جوان 1706م[2].

ولما دخلت الايالة التونسية في حكم البيت الحسيني بطلب من أهلها، وعن طيب نفس منهم،أخذت سلطة الباي في النمو والظهور،وأخذت سلطة الداي في التراجع والتضاؤل، وبذلك رسخت قدم البيت الحسيني في الإمارة، فكان حبهم متمكن في القلوب،وسلطانهم باسطا جناحه على كامل التراب التونسي[3]، لكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا بسبب ظهور الفتنة الباشية ،التي سنتحدث عنها وعن تأثيرها على الوضع السياسي.

2- الفتنة الباشية (1728- 1740م):

[1]- ولد الحسين ابن علي سنة 1675م،قدم والده من بلاد الروم، و أصله من جزيرة كندية، شغل عدة وظائف منها :خزندار في حكومة محمد باي ثم تولى وظيفة كاهية في حكومة ابن رشد، وتولى وظيفة صبايحية الترك في عهد إبراهيم الشريف،أنظر: محمد مقديش:**نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** ، تح،علي الزاوي ومحمد محفوظ،ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، ط1،1988م،ص155.

[2]- حسين خوجة: **ذيل بشائر أهل الإيمان**،تحقيق وتقديم الطاهر المعموري،الدار العربية للكتاب،تونس،1975م،ص112.

[3]- احمد زكريا الشلف: **العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (1516 – 1916م)**، مصر العربية للنشر والتوزيع ، مصر،ط1، 2002 م، ص 134 .

تعود الفتنة الباشية[1] إلى الصراع الذي قام بين الحسين بن على وابن أخيه علىباش، فلقد عينه عمه واليا للعهد، فيقي كذاك زمنا طويلا حتى رزق البايأولادا،فابعد على باشا عن السلطةومنحت لهوظيفة الباشا،وفي سنة 1725م، شدد الحسين بن على الرقابة على ابن أخيه[2].

وبسبب ذلك ثار على باشا ضد عمه في فيفري سنة 1728م، وجر وراءه كل الناقمين في البلاد،والأخطر من ذلك انه استمال عدد من القبائل والطوائف التي لم يكن النظام يحسن معاملتها مثل:جبل وسلات،وقد سموا من تلك الفترة بالباشية[3].

ولم يكن على باشا راضي بمنصب الباشا، الذي منحه له عمه من السلطان العثماني، ونتيجة لذلك تمرد على عمه، وكان مدعوم من الجزائريين، حيث دخل إلى تونس في شهر سبتمبر 1735م، وأعلن نفسه بايا بدلا من عمه الذي فر إلى القيروان ،وبعد خمس سنوات من الحرب الأهلية،انتهت بتفوق على باشا سنة 1740م، وبعد قطع رأس حسين بن على،انتقل الصراع بين على باشا وأبناء الحسين بن على[4]، وهذا ما نتحدث عنه في العلاقات السياسية.

لكن مع نهاية القرن 18م،تغير الوضع السياسي بعد تولي حمودة باشا [5]الحكم في سنة 1782م،

بحيث قضى على الفتن الداخلية وساهم في نشر الأمن واستقرار البلاد،والاهم من ذلك ما قام به من إصلاحات سياسية سنتحدث على البعض منها.

---

[1]– الباشية: اسم أطلق على مناصري على باشا مثل: جبل وسلات، وأولاد عيار، أما منافسوهم أطلق عليهم اسم الحسينية وهم أنصار حسين بن على مثل: جلاص،وأولادعون ،انظر: محمد الهادي الشريف:**تاريخ تونس**، ص84.

[2]– راشد الإمام: **سياسة حمودة باشا في تونس (1782–1814م)**، منشورات الجامعة التونسية، 1980م،ص 84 .

[3]– حسين خوجة: المصدر السابق، ص73.

[4]– مليكه الشيخ: **العلاقات السياسية بين تونس وفرنسا خلال القرن 18م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، المركز الجامعي بغرداية، السنة الجامعية (2011 – 2012م)، ص 19 .

[5]– ولد حمودة باشا ليلة السبت 8 ديسمبر 1759م في الجزائر، أمه تدعى محبوبة، وأبوه على،عني والده بتربته تربية إسلامية ، تعلم مبادئ الفقه على المذهب الحنفي، تولي تربيته حمودة بن عبد العزيز صاحب الكتاب الباشي، فتعلم اللغة التركية، دام حكمه حوالي ثلاث وثلاثين سنة (1782–1814م)، توفي في 16ديسمبر 1813م، انظر: الوازير الحاج حمودة بن محمد بن عبد العزيز: **الكتاب الباشي**، تح، محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس،1970م، ص 70.

3- إصلاحات حمودة باشا السياسية:

لعل من ابرز مظاهر سياسة حمودة باشا الداخلية عمله الدائم على حسم الخلافات بينه وبين أفراد العائلة الحسينية الحاكمة، فكان يكرم أبناء عمه،وكان شديد البطش لمخالفيه، فاهتم بتطهير الإدارة وإصلاحها، وإبعاد الأتراك عن المراكز الحساسة في الدولة، وكانت ثقته تزداد بالأهالي، فيسند لهم الخطط والمسؤوليات[1] .

ولقد ركز بشكل كبير على الجيش في إصلاحاته،فقام بتعزيز الجيش بعناصر معظم أفرادها تونسيين وركز على تقوية التشكيلات الوطنية التي كانت موجودة، وتقويتها، والاعتماد عليها بدل من جند الأتراك،ومن بين إصلاحاته أيضا الاهتمام بالصناعة الحربية،فانشأ مصانع عصرية في تونس،واهتم بصناعة البارو، وصناعة المدافع وقذائفها،وصناعة السفن الحربية،وإصلاح الموانئ وبنائها على أسس عصرية[2]،فكل هذه الإصلاحات السياسية كانت لها أهمية كبيرة في ازدهار الوضع السياسي في تونس.

المبحث الرابع:الوضع الاقتصادي في تونس خلال القرن 18م .

إن واقع الاقتصاد التونسي في القرن الثامن عشر ارتبط ارتباط وثيق بالأسرة الحسينية،باعتبارها صاحبة الحل والعقد،وعلى هذا سنبرز دورها في هذا المجال،ومع التطرق أيضا إلى التأثير الفرنسي على الوضع الاقتصادي.

1-دور الأسرة الحسينية في ازدهار الاقتصاد المحلي:

[1]- راشد الإمام : المرجع السابق ، ص 164.

[2]- نفسه،ص170.

لقد شجع الحكام على تدعيم الحياة المهنية من خلال بناء الأسواق،فلقد قام الباي محمد ببناء ثلاث أسواق لصناعة الشاشية،وكما اهتم حمودة باشا بالحرف حتى أصبحتجانب بارزا في سياسته الاقتصادية[1].

وكما اتخذ البايات من بعض المناسبات الدنية كرمضان، أوالمولد النبوي الشريف فرص للاطلاع على أحوال الحرفيين والمهنيين من خلال زيارة ميدانية للأسواق، والاهم من ذلك اهتمامهم بتوفير مواد الخام الأولية التي تحتاجها الصناعات مثل: استراد الصوف من اسبانيا لصناعة الشاشية[2].

وبالإضافة إلى ذاك اهتموا بالتجارة الداخلية والخارجية، وأولوا لها اهتمام خاص، وهذا لما تدره عليهم من منفعة على البلاد والعباد، كبناء، أوترميم الجسور، لتسهيل عملية نقل البضائع والسلع بين المناطق، وإقامة الأبراج لتامين الطرقات مثل: بناء قنطرة وادي الزرقاء وقنطرة القيروان[3].

لكن غرم هذا الاهتمام الذي أولاه البايات بالاقتصاد التونسي إلا انهلم يمنع من وجود تأثير أجنبي عليه، وهذا ماحدث بالفعل بسب الامتيازات التي منحتها تونس لفرنسا.

2- الامتيازات التجارية الفرنسية في تونس:

شكلت تونس بموقعها الاستراتيجي وواجهتها البحرية وموانئها، هدفا حيويا للتجارة الفرنسية في الفترة الحديثة، وتمكنت فرنسا من التغلغل عن طريق الامتيازات، والاتفاقيات والتنازلات التجارية.

وبذاك كان مسعى فرنسا هو إنشاء شركات تجارية،فأقامت المراكز التجاريبالرأس الأسود مثل: شركة الملكية الإفريقية التي حاولت إيجاد مؤسسات أخرى في تونس، فباشرت خطوات لدى الباي للحصول على احتكار صيد المرجان في التونسية،واستئناف نشاطات الشركة الإفريقية القديمة في الرأس الأسود، وكانت أول موافقة سنة 1768م،تمنح له احتكار صيد المرجان،وفي سنة 1781م،

[1]- محفوظ سعيداني : **الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغربية في العهد العثماني من مطلع القرن 18م إلى 1830م** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية (2011- 2012م)، ص 208.

[2]- ابن أبي الضياف احمد : **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**،8ج ، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، ج3 ، تنفذ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 2001م ، ص 78.

[3]- رشريح الإمام :المرجع السابق،282.

عقدت اتفاقية طموحة جدا منحت للشركة الامتياز الحصري لصيد المرجان في جميع ساحل الايالة مع إمكانية إنشاء مراكز مرجانية في طبرقة وبنزرت[1].

لكن هذه الامتيازات أثرت على الاقتصاد المحلى،مما تسبب في حدوث إصلاحات اقتصادية قام هبا حمودة باشا في فترة حكمه(1782-1814م).

3- سياسة حمودة باشا الاقتصادية:

لقد كان لحمودة باشا اهتمام كبير بالاقتصاد التونسي من خلال اهتمامه بالعديد من الأمور مثل:حثه على العمل،واهتمامه بتحسين الإنتاج المحلى وخاصة الصناعات المحلية،وإبراز صناعة الشاشية التي كان لها رواج كبير في عهده [2]،كما اهتما بتوفير المواد الأولية التي ساعدت على ازدهار العديد من الصناعات مثل: الزحف والسجاد،والجلود وصناعة الحلفاء، فكانت هذه الصناعات تصدر منها إلى الخارج كميات كبيرة،تدر على تونس بأموال طائلة[3].

ومن مظاهر سياسته الداخلية تنشيط التجارة في الداخل، بحيث اهتم بالطرق والقوافل التجارية، وبنائه لسوق تجارية بتونس،وهيمن أحسن أسواق العاصمة ضخامة وموقع[4].

ومما سبق نستنتج :

[1]- مليكة الشيخ: الرجع السابق،ص113.

[2]- راشد الامام: المرجع السابق، ص282.

[3]- نفسه،ص 285.

[4]- محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج2،المطبعة السلفية،القاهرة،مصر،1349هـ، ص 168.

– أن دراستناللوضع السياسي والاقتصادي في الإيالتينخلال القرن الثامن عشر يساعدنا بشكل كبير على معرفة أوضاع الإيالتين التي ساهمت في تطور العلاقات السياسية والاقتصادية بينهما .

– فالتطورات السياسية التي حدثت فيها كانت حافزا في تداخل العلاقات وتطورها، فانفصال الجزائر عن الدولة العثمانية سنة 1711م، جعل منها دولة مستقلة استقلال شبه تام ولها أوامرها ونواهيها، بينما في تونس تأسيس الأسرة الحسينية كان أكبر تحدي وإنجاز قام به مؤسسها حسين بن علي، حيث جعل الحكم وراثي دون تدخل الدولة العثمانية، وبالتالي حققت كل من تونس والجزائر نوعا من الاستغلال .

–أن هذا الاستقلال لم يأتي أكله بسب ظهور الفئة الداخلية والتدخل الأجنبي ، فتونس تعرضت لأخطر فتنة عرفت بالفتنة الباشية التي ساهمت في تمزيق وحدة تونس وإضعاف قوتها العسكرية، أما الجزائر فلم تسلم من خطر الوجود الاسباني الذي ظل يهددها حتى سنة 1792م.

–وبالرغم من أن الوضع السياسي في كلا الإيالتين كان سيئ في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، إلا انه في النصف الثاني شهد استقرار نسبي وتطور ملحوظ بفضل الحكام .

– فبتولي حمودة باشا الحكم في تونس سنة 1782م ، تغير الوضع السياسي بسبب الإصلاحات التي قاما بها على المستوى الداخلي والخارجي ،فهذه الإصلاحات أعادة لتونس مكانتها الدولية، وجعلتها في تنافس مع الجزائر وحتى التفوق عليها في بعض الأحيان .

– أما الجزائر فلقد حققت أعظم مشروع هو تحرير وهران من الوجود الاسباني الذي دام قرابة ثلاثة قرون وهذا بفضل جهود الباي محمد الكبير، والداي عثمان، وفي المقابل ازدهرت قسنطينة في عهد صالح باي .

– أما فيما يخص الوضع الاقتصادي فكان متشابه إلى حد ما بسبب تأثير العنصر الأجنبي، فكلا الإيالتين منحت لفرنسا الامتيازات التجارية لصيد المرجان ولذالك كانت معاملتهما التجارية بشكل كبير مع فرنسا.

– لكن في المقابل كان هناك اهتمام محلي بالوضع الاقتصادي وخاصة في الجزائر، إلا أن تونس كان لها اهتمام كبير بالاقتصاد المحلي وخاصة في بداية القرن الثامن عشر في عهد حسين بن على، وفي أخره في عهد حمودة باشا الذي أولى اهتمام كبير بهذا المجال .

– وبالتالي فان الأوضاع السياسية والاقتصادية في الإيالتين ساهمت في إقامة العلاقات السلمية أحيانا والصراع والحرب أحيانا أخرى لان الكثير منها كان سبب في الصراع .

إن العلاقات السياسية بين الإيالتين لم تكن وليدة القرن الثامن عشر بل تعود جذورها إلى دور الجزائر في تحرير تونس من الاسبان والقضاء على السلطة الحفصيةعلى يد علج على سنة 1547م،وبعدها اصبحت تونس إيالة عثمانية،فكان للجزائر الفضل الكبير في ذلك، وأصبحت هي من تعين حكام تونس مدة من الزمن ثم استقلت نسبيا بعد أن أصبح التعين من الباب العالي [1].

وفي عهد الأسرة المرادية التي ظهر فيها خلاف حول السلطة سنة 1675م بعد موت مراد باي التونسي، مخلفا والدين هما محمد وعلي، الذي ظهر الخلاف بينهما حول السلطة، فقرر الديوان تكليف عمهما الحفصي لإدارة الإيالة، لكن محمد باي استطاع استرجاع ملكه بعد دعم أهالي له .

وبعد ذالك ثار علي على أخيه محمد، الذي بدوره فر إلى قسنطينة بعد الهزيمة، وبذالك استغل داي الجزائر الخلافات بين أفراد العائلة، وأرسل سنة 1686م حملة بقيادة إبراهيم خوجة، استولت الحملة على المدينة ونصب محمد باي على رأس الإيالة[2].

لكن محمد باي تنكر للجميل وأراد التخلص من التبعية للجزائر، فنظم حكام الجزائر حملة أخرى سنة 1689م خلعوا الباي ونصبو مكانه بايا جديدا هو محمد شاكر، وفي سنة 1694م جمع محمد شاكر أتباعه وأعلن الحرب على محمد باي فتدخل باي قسنطينة إلى جانبه فالحق الاثنان هزيمة نكراء بمحمد باي، فتمكن محمد شاكر من إستعتدة السلطة [3].

لكن مع مطلع القرن الثامن عشر ظهر هذا الصراع من جديد من خلال حملة مراد باي على قسنطينة سنة 1700م التي تسببت في توتر العلاقات من جديد،ومن خلال هذا الفصل سنتحدث عن الأوضاع السياسية بين الإيالتين خلال الفترة الممتدة ما بين(1700- 1735م)، والتي سنبرز فيها فترة الصراع أثناء إبراهيم الشريف ثم من بعده حسين بن علي مؤسس الأسرة الحسينية،وبعد ذالك سنتطرق إلى فترة السلم التي حدثت بينهما،وفي الاخير نذكر دور الجزائر في دعمها لعلي باشا لاسترجاع ملكه والقضاء على عمه.

[1] - عمار بن خروف:**العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادسعشر الميلادي**،ج1،دار الأمل، الجزائر،2006م،ص110.

[2] - راشد الإمام:المرجع السابق،ص51.

[3] - صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830م)**، دار هومة، الجزائر، ط1،2007م،ص146.

وعلى اثر الفتن التي حدثت في تونس، كان للجزائر عدة تدخلات في شؤون تونس، كانت تتكرر كلما سنحت لها الفرصة .

المبحث الأول: توتر العلاقات الجزائرية التونسية (1700 – 1705م)

ترتب عن الغموض والفوضى التي سادت العلاقات بين القسطنطينية والجزائر منذ عهد البايلربايات نتائج سيئة عديدة لم تكن قاصرة على الجزائر فقط بل امتدت إلى العلاقات بين دول المغرب العربي، وعلى الأخص بين تونس والجزائر، لأن تبعية كل منهما للسلطة العثمانية جعل الغموض القائم بينهما والقسطنطينية ينتقل إلى العلاقات بين بعضها البعض،ومن هنا كان النظام الجزائري يعتبر تونس تابعة له،أويجب أن تكون تابعة له،بينما نظام تونس يعتبر نفسه مساوي للنظام الجزائري ،وأنه تابع للقسطنطينية[1] .

ومع مطلع القرن الثامن عشر توترت العلاقاتبين الإيالتين من جديد، وخاصة في أواخر عهد الأسرة المرادية، واستمر بعد وصول إبراهيم الشريف إلى السلطة الذي قضى على النظام المرادي، فهذا التوتر كان بسبب التحالف التونسي المغربي ضد الجزائر،وكذالك تمرد إبراهيم الشريف.

1 – التحالف التونسي المغربي على الجزائر1701م:

كان مراد باي على اتفاق مع المولى إسماعيل سلطان المغرب الأقصى ضد الجزائر لحصارهاوالقضاء على قواتها ، فكانت حملة مراد باي على الشرق الجزائري (قسنطينة)، وحملة سلطان المغرب الأقصى على الغرب الجزائري، وبالتالي وجب على الجزائر التصدي للحملتين .

أ– حملة مراد باي على قسنطينة 1700م :

إن حملة مراد باي على قسنطينة جاءت بعد تراكم عدة أسباب،ساهمة في تجدد الصراع بين الايالتين نذكر منها:

1 – محاولة انتقامه من الجزائريين،الذين ناصروا عمه فيما سبق.

[1]– مبارك الميلي بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،ج 3، بيروت، لبنان،1964م، ص 195.

2 - إظهار جانب القوة والحزم لظمآن ولاء الرعية .

3 – محاولة تحقيق انتصارات خارجية للظفر بمكاسب جغرافية ورفع معنويات الجيش .

4 – التخلص من الادعاءات المالية التي كانت تدفع لخزينة إيالة الجزائر.

5 – رفض داي الجزائر حسن باشا الشاوش للهدية التي أرسلت إليه من قبل الباي مراد[1].

1 – مجريات الحملة وأثارها على الطرفين :

في بداية حكمه لتونس، أرسل مراد باي هدايا إلى حكام الجزائر فرفضوها، ومع بداية 1700م، جمع قواته التي زاد عددها بمنخرطين جدد وكتب إلى خليل باي حاكم طرابلس بطلب دعمه[2].
سار إلى الجزائر يحمل معه 25 مدفعا، خرج إليه علي خوجة باي قسنطينة فانهزم وقطعت العديد من رؤوس جنده،أرسلها مراد باي إلى تونس لتعلق في قصبتها،ثم حاصر قسنطينة فجابهته بقوة، لكنه مني بالفشل، واستولى على حصن خارجها فذبح كل من وجده به،وبعد ذلك التحق به باي طرابلس وشارك إلى جانبه في حصار المدينة لمدة خمسة أشهر [3].

وبعد قدوم الجيش طرابلس لمشاركة الباي مراد في حصار المدينة،وصلت أخبارهم إلي الجزائر،فاضطربت أحوالها وإشتاط الانكشارية غضبا، فتم عزل الداي حسن باشا الشاوش،وتعيين الداي الحاج مصطفي (1700- 1705م)[4].

وبعد طول الحصار خرج الداي الحاج مصطفي داي الجزائر في جيشه مسرعا لرد هذه الغارة عن الجزائر فالتقى الجيشان بمكان يعرف باسم جوامع العلمة، أو المجاز الأحمر "سانت أرنوا"، وكان عدد الجيش

---

[1]- عطية محمد: **الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية (1587 – 1830م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، السنة الجامعية (2014 - 2015م)، ص 34.

[2]- صالح عباد:المرجع السابق، ص148.

[3]- سامح عزيز ألتر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ج1، تر، محمود علي عامر، دار النهضة العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1989 م، ص58.

[4]- ابن ميمون محمد الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**،تق وتح،محمد بن عبد الكريم،الطبعة الشعبية للجيش،2007،ص 26.

الجزائري ضئيل جدا مقارنة بالجيش التونس،فاحتقره الباي مراد طمعا في الانتصار عليه، ودعي قومه إلى الراحة والاستجمام وقضى ليلته في الطرب واللهو[1] .

وفي منتصف الليل من يوم 30أكتوبر 1700م،انقضى عليه الجيش الجزائري،فهلك من جيشه سبعة ألاف مقاتل، وأسر مثلها [2]، وكان النصر يلوح في الأفق لصالح الانكشارية الجزائرية،حيث أن بوادر هذا النصـــــر جعلت من الباي خليل الطرابلسي يتراجع إلى الوراء،لكون المعركة لا تعنيه بالدرجة الأولى أكثر مما يعنيه الانتقام والغنائم،وتماد الجيش الجزائري في قتل التونسيين،حيث فر الباي مراد إلي القيروان [3].

2 – تدخل الباب العالي لحل النزاع :

بسبب توتر العلاقات تدخل الباب العالي لإزالة الخلاف بين حاكمي الجزائر وتونس، لكن باي تونس رفض هذه الوساطة، بسبب عدم تلقيه لهزيمة ساحقة تنهي حكمه،فاعتزي بنفسه لان الجيش الجزائري اكتفي بطرد،وأظهر العصيان والتمرد على الباب العالي [4].

ولم يكن رفضه هذا سخطا عليه من طرف الباب العالي وداي الجزائر فحسب بل حتى من المقربين إليه،وبذلك يكون قد فتح على نفسه جبهة أخري يمثلها إبراهيم الشريف،وبذلك لم يستطيع مراد باي أن يتحكم في زمام الأمور،وبدأ إبراهيم الشريف بالتخطيط لتخلص منه في أول فرصة تسمح له بذلك[5]،لكن رغم نصائح السلطان العثماني، ثار مراد باي في السنة التالية، فوجه حملة إلى الحدود الجزائرية، فقتل هناك من طرف أنصاره يوم 08 جوان 1702م[6].

[1]–.أبي عبد الله الشيخ الباجي المسعودي: **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**،طبع بمطبعة بيكار وشركته بنهج أنبال عدد4، تونس، 1383هـ، ص112.

[2]– يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، دار البصائر، ط خ ، الجزائر،2009 م، ص77

[3]– عطية محمد: المرجع السابق،ص87.

[4]–عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، دار الأمة، الجزائر،2014م، ص206.

[5]– عطية محمد:المرجع السابق، ص88.

[6]– الباجي المسعودي: المصدر السابق،ص113.

ب – حملة المولى إسماعيل على الغرب الجزائري 1701م :

بعد ما قسم المولى إسماعيل الحكم على أولاده سنة 1699م، فأعطى تازة لابنه زيدان، فتحرك هذا الأخير لمحاربة الجزائر بإيعاز من والده، تقدم زيدان إلى معسكر ودخلها بسهولة، وأمر عساكره بنهب وسلب المدينة،ولكي يتمكن زيدان من تهريب الغنائم التي حصل عليها، عقد الصلح مع الجزائريين، وبهذه الوسيلة عاد مطمئنا سلميا [1].

غضب المولى إسماعيل من تصرف ابنه فعزله وخرج بنفسه، ولما انتهى الجيش الجزائري من القضاء على الحملة التونسية اتجه نحو ملك المغرب بقيادة الداي مصطفى، فالتقى الطرفان في منطقة مضيق بوغاز أكشي، وكانت قوات الفاسيين تقدر بحوالي خمسين ألف جندي،لكنه هزم وفر المولى إسماعيل، وعاد الجيش الجزائري يحمل ثلاثمائة رأس عسكري، وخمسين قائدا، فأقيمت الأفراح في الجزائر لعدة أيام احتفالا بهذا النصر[2].

2 – الصراع أثناء فترة إبراهيم الشريف (1702 – 1705م):

لم يكن وصول إبراهيم الشريف إلى السلطة بالأمر الهين بل بتراجع النظام المرادي الذي قام بإضعاف الجند مع مواصلته الإعلان عن صبغته التركية ومعاملته الجمهور الواسع من الرعايا المحليين معاملة الشعوب المغلوبة، وبذلك حدثت عدة اضطرابات داخل السلطة ساعدته في الوصول إلى الحكم [3].

أ– وصول إبراهيم الشريف إلى الحكم 1702م

لقد ألمت بالبلاد التونسية تمردات وانتفاضات منها حرب الأخوين محمد باي وعلي باي ت(1675م)، وعمهما محمد الحفصي ت(1686م)، والتي دامت عشر سنوات، ولقد تدخلت الجزائر لحل الصراع الدائر حول الأيالة [4].

---

[3]– صالح عباد: المرجع السابق، ص149.

[2]– عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ج1، ص443 .

[3]– محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص80.

[4]– ياسين صنديد: **الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس و فرنسا (1705–1782)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية،السنة الجامعية (2012–2013)،ص19–20.

وبعد هذه الفتنة بدأ الحكم العائلة المرادية في تونس يؤول إلى الزوال، وذلك من خلال الاستبداد في الحكم بقتل العلماء والوجهاء والركون إلى الملذات، كما عملوا على إساءة الجوار كحملة مراد باي على الجزائر سنة 1700م، وقد قتل أكثر جنده هناك[1].

وبسبب جور مراد باي، قام داي الجزائر مصطفى بتكليف إبراهيم الشريف بقتل مراد باي، وكتب له الولاية سرا خلفا له، ولقد قام بقتله في 10جوان 1702م، ثم أباد ما تبقى من الأسرة المرادية،وبذلك انتهي حكم المراديين[2].

وبعد نهاية حكم الأسرة المرادية دخلت تونس مرحلة انتقالية دامت ما بين (1702-1705م) التي حكم فيها إبراهيم الشريف، لكن حكمه لم يدم طويلا بسبب سوء معاملته للرعية، وتوتر علاقاته مع دول الجوار، مما عجل بنهاية حكمه وتعويضه بنظام جديد وهو نظام الأسرة الحسينية .

ب – حملة إبراهيم الشريف على طرابلس الغرب :

بعد قضاء إبراهيم الشريف على منافسيه في الداخل ،وخاصة بعد قتله لمراد باي،أصبح حاكما على الإيالة التونسية ،وتتويج اسطنبول له بلقب الباي،فلم يكتفي بذلك بل فكر في توسيع سيطرته على جرانه،فكانت طرابلس الغرب أول طموحاته التوسعية، وذلك للعديد من الأسباب نذكر منها:

تعود أسباب هذه الحملة إلى تراجع أموال الخزينة بسبب تراجع القرصنة، مما جعل الداي إسماعيل باشا ينظم حملة تجلب بعض الغنائم ضد حاكم طرابلس خليل باي، بدعوى أن هذا الأخير قد حجز باخرة تحمل له هدايا من باشا مصر[3] .

[1]-Phonse ROSSEAU : les arrabTunisiennes,deuxienonseditionbouslama,TUNIS, S.D.P,P86.

[2]- إبن أبي الضياف : المصدر السابق ، ج3 ، ص95.

[3] - مبارك الميلي : المرجع السابق ، ص195.

ويقول هنري أن باي تونس ناقما أيضا على طرابلس الغرب لفعلة ارتكبها ضده من هذا القبيل[1]،

ويضيف بأن داي الجزائروباي تونس تحالفا ضد باي طرابلس، وفي الوقت الذي استعد فيها الحليفان لشن الحملة على طرابلس الغرب، فأشاع الإنجليز خبر مفاده أن باي تونس أبرم إنفاقا سريا مع باي طرابلس على إيقاع الجزائريين في فخ، وتحصل داي الجزائر من الديوان على إعلان الحرب ضد تونس[2].

وبما أن حملة إبراهيم الشريف على طرابلس الغرب لاختص الجزائر،إلا أنها تخص مشرعه لقطع تدخل الجزائر في شؤون تونس،وبرغم من عقد الصلح بين الطرفين قبيل نشوب الصراع بين تونس وطرابلس الغرب في سنة 1702م، بقيت الجزائر على حذر من تمروده[3].

فقام إبراهيم الشريف على رأس محلة قوية، تتألف من ثمانية عشر ألف رجل متجه إلى طرابلس الغرب ،وقد جرت المعركة في موقع يعرف باسم طرة،فهزم خليل بك،واكتسحت الجيوش التونسية منطقة المنشية،واستمر الحصار مدة تزيد على الشهر، فلما ضيق على أهلها ،أرسلوا إليه يطلبون الصلح على مال جعلوه له، وكان ذلك بواسطة كاهيته حسين بن على، فمتنع وأغلظ،فحذره كاهيته وقال له:"إن صاحبك أغضبك وفر بين يديك هاربا،وقتلت جنده وأعوانه،وأخذت محلته بما فيها فأي ذنب لأهل البلاد؟.

فصمم على قساوته إلا أن الوباء الذي ظهر في جيشه اضطره للانسحاب ولما عاد إلى تونس قبل بزحف داي الجزائر على تونس [4]،وبعد عودته إلى تونس جلب معه الوباءالذي قد انتشر بسرعةمما

[1]- يعود هذا الخلاف إلى مصادرة خليل باشا الجياد الأصيلة التي أهداها باشا مصر إلى إبراهيم الشريف ،فكتب إليه يوبخه على هذه الفعلة وطالبه بإعادة الجياد إليه فورا،فرد عليه خليل برفض قاطع،وكان إبراهيم الشريف يكره خليل باشا من قبل،ولم يلبث عن أعلنا عليه الحرب، انظر:شار فيرو: **الحوليات الليبية** ،ترجمة وتحقيق ،محمد عبد الكريم الوافي،منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي، ليبيا، ط 3، 1994م،ص 146.

[2]- سامح ألتر:المرجع السابق،ج1،ص444.

[3]- محمد بن محمد الاندلسي الوزير السراج: **الحلل السندوسية في الأخبار التونسية**،تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة،مج 2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، ص675.

[4]- أتوري روسي:**ليبيا منذ الفتح العربي إلى 1911م**، تروتج،خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب،الإسكندرية، مصر، ط2 ،1991م ، ص306 .

تسببفي هلاك خمسة وأربعين ألف من سكانها[1]

ج – حملة الجزائر على تونس لتأديب إبراهيم الشريف 1705م:

بعد تمرد إبراهيم الشريف أعلن الداي مصطفي الحرب عليه، وتوجه نحو تونس لتأديبه، إلا انه لم يستفيد من حملته ضد طرابلس الغرب، بل استمر في طغيانه دون مر اعاته لفارق قوة الجيشين،فوقع في الفخ بسبب تمرده،مما اجبر الجزائر على التدخل في شؤون بلاده.

1 – أحداث معركة الكاف 1705 م :

كان داي الجزائر يتقدم على رأس قوات كبيرة، فقابله إبراهيم الشريف إلا أنه كان في جيشه الكثير من الناقمين، وبعض المحاربين من العربان انسحبوا من القتال [2]، وبسبب ذلك طلبوا منه الصلح على الشروط التالية :

أ – دفع تعويضات الحرب والتعهد بمنح الجزائر ألف جمل.

ب – أن يسلمهم أبناءه كرهينة لضمان تنفيض الشروط.

ج – تعهد الجزائر في المقابل تسليمه رؤوس الفتنة في تونس[3].

ويقول صالح العنتري بأن"إبراهيم باي (1703-1707م) نزل بها مدة أربعة أشهر، وتكلم مع عسكرهم ووعدهم في الدخول في طاعته، وأمرهم أن يربطوا باي تونس فربطوه "[4].

وبعد استسلام إبراهيم الشريف تم تعيين محمد خوجة الأصفر داي على تونس، ولقد عاونه الديوان والأهالي بكل إخلاص، فسعى لتشكيل الجيش وتقويته بسرعة، وفي المقابل كان مصطفى داي الجزائر

[1]- المسعودي: المصدر السابق، ص114.

[2]- عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ج1،ص329.

[3]– الفونص روسو: **الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تق،محمد عبد الكريم الوافي، منشورات قار يونس، بنغازي، ليبيا،**1989م**،**ص 156** .

[4]- العنتري:المصدر السابق،ص 52.

قد قضى مدة طويلة في الكاف، وسرح العربان الذين رافقوه في النهب، فكان يبعث من الكاف إلى تونس بأوامره وشروطه[1].

2 – زحف الجيش الجزائري إلى مدينة تونس وانهزامه :

وبعدما أتيحت الفرصة لمصطفى داي اخذ في الزحف وعلى مهل وصل أمام أسوار تونس فكانت تدابير الدفاع التونسية قد تم اتخاذها، مع أن الجزائريين أصابهم الضعف بعد أن نهب المحاربون المحليون أطراف البلاد، فهاجم الجيش الجزائري تونس، لكنه خسر في أول مواجهة 800 قتيل، وكلما تقدمت بهم الأيام قلت مؤنهم وذخائرهم حتى استسلموا وعادوا إلى الجزائر منهزمين [2].

فلما بلغ نبأ الهزيمة إلى العاصمة قبل أن يصل إليها الحاج مصطفى، أعلن الديوان عزله وانتخبمكانه حسن خوجة ، وما سمع مصطفى خوجة بالنبأ حتى عاد أدراجه إلى أن وصل إلى مدينة القل حيث أوقفه الجنود، وأعدم بعد ذالك [3]، أما الداي الجديد حسين خوجة، فقد سارع بتعذيب زوجة الداي السابق وابنته حتى كشفتا عن مخبأ كنوز الحاج مصطفى، فوزع حسين خوجة تلك الكنوز على الجنود، وتمكن من إخماد سخطهم[4].

لكن الداي حسين أشفق على أسيره إبراهيم الشريف باي تونس، فحل وثاقه وأعاده إلى ولايته في أربعين ألف جندي من الحامية،ولم يشترط عليه سوى البقاء تحت سلطة الحكومة الجزائرية، فأطاع الباي على ذلك وارتحل متوجها إلى تونس، وما كاد يبلغ في سيره إلى تونس حتى أحاط به الجيش التونسي،فدحره وهلك الباي إبراهيم الشريف ومن معه من الحامية الجزائرية[5].

[1]– عزيز السامح ألتر ،المرجع السابق،ج1، ص329.

[2]– نفسه ،330.

[3]– عبد الرحمان الجيلالي:المرجع السابق، ص208.

[4]– مبارك الميلي: المرجع السابق، ص196.

[5]– الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص112.

3- أثر قيام النظام الحسيني في العلاقات:

بعد قضاء الجزائر على تمرد إبراهيم باشا، تم تنصيب الحسين بن علي بايا على تونس،فاستمرت الجزائر في علاقاتها مع تونس أثناء قيام النظام الحسيني،فكان لهذا النظام اثر على الجزائر تمثل في مايلي:

أ – رغبة داي الجزائر في عقد الصلح :

في 10أوت 1705م، قدم إلى تونس رسل من محلة أتراك الجزائر التي كانت معسكرة عند مدينة الكاف التونسية، يحملون رسائل صيغت في أسلوب ينم الرغبة في عقد الصلح، حيث أبدى داي الجزائر مصطفى في تلك الرسائل مقترحات سلمية [1].

وعلى إثر وصول هذه الرسائل ،أنعقد الديوان جلسته التي اصدر من خلالها جوابا يقتض بضرورة منع داي الجزائر من المجيء، ودعوته إلى مغادرة البلاد، وقرر الحاضرون أن يجاب داي الجزائر بالعبارة التالية: "ذكرتم أن قدومكم إلى تونس أنما كان لأجل محاربة إبراهيم الشريف، ولقد خلعناه، وهو الآن أسير لديكم فتم مرادكم،و بايعنا من رضيناه ، فليس لكم حق في طلب تعتمدونه بحجية "[2].

ولقد نقل هذا الرد إلى محلة الجزائريين وفد تونسي مكون من أعضاء الديوان،وبعض كبار العلماء واستقبل الداي مصطفى الوفد بكل ترحاب، لكنه رد على اعترافاتهم على بقائه على رأس محلته بإيالة تونس قائلا:" أن مبتغاة هو الصلح و طمأنينة الجميع، و بأنه ما فكر في التوجه إلى مدينة تونس سوى لتأكيد ذلك"، وحاول الرسل التونسيون بإقناعه بمغادرة البلاد، حيث عرضوا عليه حقنا الدماء، لكنه رفض وصرفهم مطالبا التفاوض مع رسل غيرهم،وفي أعقاب فشل هذه المفاوضات تجدد الصراع من جديد[3].

ب – تصدي حسين بن علي للحملة الجزائرية 1705م:

[1]- البارون الفونص روسو: المرجع السابق، ص164.

[2]- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2 ، ص 87.

[3]- الفونص روسو: المرجع السابق، ص164.

وفي أعقاب فشل المفاوضات مباشرة تحركت محلة الجزائريين من الكاف، واتجهت إلى طبرية، حيث مكثت بها أيام تنهب وتخرب،وفي 28أوت 1705م وصلت المحلة إلى مشارف العاصمة التونسية، حيث عسكرت بمكان يسمى منجوس،وزحف مع المحلة الجزائرية أكثر من أربعة ألاف رجل ينتمون إلى القبائل التونسية المتمردة، ولم يكن جيش حسين بن علي يزيد عن ثمانية عشر ألف رجل[1].

لكن حسين بن علي قد قام بتحصين المدينة، الذي أثر سلبا على حكام الجزائر الذين أدهشتهم مقاومة الأهالي التونسيين، حيث منوا بخسائر فادحة إلى حد أنهم أخذوا يأسفون على عدم قبولهم الصلح الذي كان التونسيون قد عرضوه عليهم [2].

واشترط التونسيون أن يقوم الجزائريون بفك المحاصرة و مغادرة التراب التونسي كلية،مما أثار حفيظة داي الجزائر فواصل الحصار،لكن تخلي القبائل التونسية عنه أجبرته على الاستسلام مما دفعه إلى سحب قواته و العودة إلى الجزائر ، فهذا الانتصار الذي حضي به الباي حسين بن علي ساعده على لم شمل التونسيين وتوحيد البلاد، مما جعل أهالي تونس يلتفون حوله ويعلنونه حاكما عليهم[3] .

المبحث الثاني : عودة السلم (1706– 1728م).

بعد نهاية الحملة الجزائرية على تونس التي انهزمت فيها،عاد السلم من جديد بين الإيالتين مابين (1706- 1728م)، وذاك لعدة أسباب مرتبطة بكل إيالة على حدي،فكان لكليهما اهتمامات خاصة بالشؤون الداخلية والخارجية، وبالتالي سنبرز وضع الإيالتين في هذه الفترة.

1 – الجزائر:

شهدت الجزائر عدة أحداث سياسية خلال الثلاثين سنة الأولى من القرن الثامن عشر،ساهم في عودة السلم بين الطرفين،بسبب اشتغال الجزائر بإصلاح وضعها الداخلي،واسترع هيبتها

في حوض البحر الأبيض المتوسط،ومن بين اهتماماتها :

[1]-الفونص روسو: المرجع السابق،ص 165.

[2]- الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص117.

[3]- ابن المفتي: المصدر السابق، ص69.

أ-اشتغال الجزائر بتحرير وهران :

كانت إسبانيا دائما عدوة للجزائر لا يمكن أن يكون سلام بينهم، ومع مطلع القرن الثامن عشر كانت الحامية الإسبانية في وهران تعاني نقص التموين [1]، والخطر الأكثر من ذلك على الإسبانهو حدوث فتن داخلية في إسبانيا بسبب حرب الوراثة[2]،فهذه الأسباب ساعدت الجزائر على استغلال هذا الوضع لاستعادة وهران وغض النظر عن تونس، فلقد استغل الداي محمد بعداش(1707م-1710م) الوضع وأوعز إلى معسكره إلى مهاجمة وهران، فهاجمها الباي سنة 1707م، وأرغم الإسبان على الاستسلام في 20جانفي 1707م[3].

وبعد انتهاء حرب الخلافة في إسبانيا بدأ فليب الخامس ملك إسبانيا [4] بتحضير لإعادة احتلال وهران ،فنجح في ذلك سنة 1732م، فهذا الصراع أثر على الوضع السياسي والعسكري في الجزائر خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الثامن عشر،ما جعلها تهتم بباليك الغرب بشكل مباشر وحمايته من السيطرة الإسبانية [5].

ب- تقوية هيمنة الجزائر بعد استقلالها عن الباب العالي:

---

[1]- الأغا بن عودة الميزاري : المصدر السابق ، ج1 ، ص 235.

[2]- كانت اسباني تعيش حرب أهلية حقيقية في إطار الحروب الأوروبية التي أعقبة وفات شارل الثاني سنة 1700م،والمتعلقة بمن يتولى العرش الاسباني،فانقسمت اسبانيا بين أنصار شارل الثالث الهابسبورغي النمساوي وأنصار فيليب الخامس البور بوني،انظر: صالح عباد: المرجع السابق، ص150.

[3] -جوليان شارل أندري:**تاريخ افريقية الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1827م**،تعريب، محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م ، ص298.

[4]- كان لابد على الملك الاسباني الجديد "فيليب الخامس "بعد أن اعترفت له الدول الأوروبية بحق التاج الاسباني ،أن يعيد بناء قوة اسبانيا ومجدها ،ويرمم ما دمرته الحروب الأوروبية خاصة بعد إعادة بناء الجيش،ولقد تمكن له ذلك بفضل النظم الإدارية والمالية الجديدة المقتبسة من النموذج الفرنسي ،فأعطى بذلك دفعة اقتصادية وسياسة لبلاده ،وأصبح بذلة الجيش الاسباني أكثر صلابة وفعالية من ذي قبل ،وبإمكانه إن يزج به في مغامرة أخري في سبيل استعادة وهران والمرسي الكبير ،انظر:تجانة بوحفص: **الحملات العسكرية لدول غرب أوروباالمتوسطية على الجزائر**(1732 – 1830م)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،المركز الجامعي بغرداية،السنة الجامعية (2010 – 2011)،ص52.

[5]- وولف جون ب: **الجزائر واوربا**، تر، أبو القاسم سعد الله،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1986م، ص399.

بعد تولى على شاوش الحكم،وجد البلاد في وضعية مضطربة،فالنمرودات والثورات تسببت في تكوين أوكار عديدة للعصابات،فواجهها بحزم فشدد الخناق علـى قطاع الطـرق وبذل كل مـا فيوسعه لإعادة الأمن إلى النفوس،وقد تمكن من التوطيد لحكمه ومن توجيه دفة الإدارة في ظل استقرار نسبي[1].

وقد تميز عهده بإدخال تعديلات هامة على السلطة،فقد أجرى عملية تطهير واسعة في صفوف الجيش الانكشاري،أدت إلى مقتل ما يقارب ألف وخمسمائة رجل من رجالها،وأقام ديوان مواليا له، كما شجع أعمال القرصنة والغزو على الأهالي[2].

وبعد ما أرسلت إليه القسطنطينية عام 1711م باشا عينته هي،على أمل أن يعيد النفوذ الفعلي للسلطان العثماني على الجزائر،فلم يتردد في تهديده بالموت،ووجه علي شاوش بعد ذلك مذكرة إلى احمد الثالث،بسط فيها العواقب الوخيمة المترتبة على تعدد السلطة،وشرح الأسباب التي تدعو إلى ضم الباشوية إلى خط الداي[3] .

إن قوة الحجة لدي علي شاوش مع الهدايا أقنعت السلطان بوجهة نظره،فمنح على شاوش إمارة الأمراء ،بالإضافة إلى منصبه كداي،ومنذ ذاك التاريخ أصبح اسمه على باشا،وأصبح بعده حكام الجزائر يجمعون منصب أمير الأمراء والداي بشخصهم[4].

أصبحت الجزائر في عهد الدايات مستقلة استقلالا تاما عن الخلافة العثمانية،ولا ترتبط بها إلا اسميا وصارت دولة مكتملة السيادة لها حكومة وعاصمة،وهي مدينة الجزائر وحدودها معترف بها دوليا، فسمحت هذه المكانة الرفيعة للحكومة الجزائرية بإتخاذ قراراتها فتعلن الحرب وتبرم السلم وتمضي المعاهدات دون استشارة الباب العالي .

وظلت العلاقة بين الخلافة العثمانية والجزائر مستقرة،طالما تحتاج الجزائر إلى الأوجاق من الجزر الخاضعة للسلطان، وكان على الجزائريين أن يرضوا السلطات العثمانية العليا أوالمحلية من أجل تسهيل

[1]- مبارك الميلي: المرجع السابق،ج3، ص 209.
[2]- صالح عباد: المرجع السابق،ص 152.
[3]- رقية الشارف: المرجع السابق،ص138.
[4]- سامح ألتر: المرجع السابق، ج1،ص423.

العملية، وكانت حاجة الجزائر إلى هؤلاء الجنود،وموافقة السلطات العثمانية ومساعدتها الضرورية لتنفيذ هذه العملية،وتؤثر في العلاقات العثمانية الجزائرية،فهي من العوامل التي منعت الجزائر أن تقطع نهائيا كل الجسور التي تربطها بالسلطان العثماني .

وبعد تحقيق الاستقلال الفعلي عن القسطنطينية،فالداي برغم من انه يتحصل على لقب الباشا من القسطنطينية فان الانكشارية هم الذين ينتخبونه دايا،ويضاف إلى ذلك أن التسمية أصبحت إجراء شكليا، بعد ذلك كان من الطبيعي أن يتطور الحكم المركزي بالجزائر نحو الاستقرار،وان يتجه تفكير الدايات إلى إقرار نظام ملكي وراثي[1] .

وبعد تحقيق هذا المطلب فقد عرض الهولنديون والانجليز والاسبان والصقليون على على شاوش عقد السلم، وقدموا له هدايا ضخمة ليقبل مهادنتهم، ثم تبعتهم الدنمارك والسويد،لكن على شاوش كان يدرك أن القرصنة تمثل المورد الأساسي لدولة،وان إبرام السلم مع تلك الدول كلها يعني نهاية له شبيهة بنهاية الديات الذين سبقوه لذلك[2] .

فلقد لجأت هولندا إلى الباب العالي واشتكت إلى السلطان وطلبت منه عقد صلح مع الجزائر فأرسل السلطان الكابيجي إلى الجزائر لتسوية هذا الأمر، فأجابه الداي بأنه مستعد لإمضاء كل المعاهدات التي يريدها السلطان إذا قبل هذا الأخير دفع أجور الانكشارية وأعباء دار السلطان، وعندما هدده الكابيجي بتوقيف تجنيد الجند من آسيا الصغرى أجابه أنه "يدخل إلى الجزائر كل يوم من باب ع ـزون من الجنـــود الأكفاء ما يفوق ما تجمعه أزمير في السنة " فعاد الكاب ـــيجي دونتحقيق أي شيء وربما كان جدير بهولندا أن تتوجه مباشرة للحكومة الجزائرية دون وساطة الدولة العثمانية[3].

ج – القضاء على التمردات :

[1]- مبارك الميلي: المرجع السابق، ص153.

[2]- نفسه، ص110.

[3]- سامح ألتر:المرجع السابق، ج1،ص469.

لقدأدركالعثمانيونمنذبدايةالأمر،أنالقبائلالجزائريةلهاخصوصيّاتها،ويجبأنتحترمهذهالخصوصيّاتلكيتستتبّالأمور، ويسودبذلكالاستقرار،فكانهمّهمالأكبرهو:

كيفيحافظونعلىعلاقتهمبالسّكان،وإذاساءتالعلاقةمعإحدىالقبائلوواجهوها بالقوّةسرعان مايعيدونلهاالاعتباروالاحترامولمكانةالتيتستحّقها؛وهوماأشارإليهصاحبالمرآة " : ذلكأّنهمعندمايُخضعونقبيلةعدوّةثمتستسلمتلكالقبيلة،يستقبلونهابحفاوةويعيدونإليهاماأُخذمنهاأثناءالحرب .

"ويضيف**حمدان**قائلافينفسالموضوع، " :

وقديعوضّونلهاالأشياءالمتلفةحتيتمكنوامنأنيجلبوهاإليهمبعدالانتصارعليها . لقدكانوا يبرهنونلمثلهذهالقبيلةعلىثقتهمبهاويدفعونهاإلىأنتعيشهادئة ....

وإذااعتزمتإحدىالقبائلعلىتشويشالأمنالعام،فإنّالقبائلالأخرىتنضمّ

إلىالعثمانيونلمحاربتها،وقّلمايلجأهؤلاءإلىالقوّةمالحربية،وإنّماكانوايفضّلون الاعتدال..... "[1].

وبعد انفصال الجزائر عن الدولة العثمانية ظهرت عدة تمردات على السلطة في بعض المناطق، التي أثرت سلبا على استقرار الأمن في البايليكات فمن بينها نذكر :

1 – اصطدام العثمانيين بأولاد ابن عاشور في فرجيوة 1713م :

كانأول اصطدام للسلطة العثمانية بأولاد بن عاشور في فرج ـــيوة في عهد بابا على شاوش ،والذي حدث في سنة 1713م، قـــاد هذه الحملة باي قسنطينة حسين باي المعروف باسم بوكمية إلا انه فشل فيها فشلا ذريعا، بحيث خلف وراءه العديد من القتلة، ومنذ ذلك الحين والصراع قائم بين بايات قسنطينة وعائلة ابن عاشور[2].

2 – الاصطدام بالحنانشة 1724م :

[1] – محمد شاطو:**نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،جامعة الجزائر،السنة الجامعية (2005-2006 م)،ص49.حمدان جوجه :المرآة،ص73.

[2] – صالح عباد :المرجع السابق، ص153.

كان الشيخ سلطان بوعزيز على رأس قبيلة الحنانشة القوية،التي بإمكانها أن تجند حوالي ثمانية ألف فارس،فوقعت قبيلة الحنانشة مع مطلع القرن الثامن عشر في صراع مع التونسيون تارة ومع الجزائريين تارة أخرى،كانوا متحالفون مع مراد باي تونس ثم انقلبوا عليه ليتحالفوا مع حكام الجزائر، لكن هذا التحالف لم يدم طويلا،فانقلبوا على حكام الجزائر بعد مقتل مراد باي سنة 1702م[1].

ومع حلول سنة 1724م،عادت إلى تمردها من جديد،فقام باي قسنطينة بتجهيز حملة لتأديبه، فاستول على ممتلكاتها فاحد منها ثمانية ألاف جمل وعدد من الأبقار والخيام،إلا أن هذا لم يرضيه بل كانت وجهته قتل زعيمها السلطان بوعزيز،الذي وجد صعوبة في لم شمل إتباعه[2] .

وبعجزه عن ذلك قامت ابنته العلجية بهذا الدور فجهزت نفسها وركبت حصانها وجمعت النسوة على أحسنتهن وخاطبتهن بقولها"مادام الرجال ليست لهم شجاعة الوقوف في وجه الأتراك الذين سيأتون قريبا لانتهاك حرمتنا،تحت أنظارهم،فلنذهب نحن بأنفسنا لنبيع أروحنا وشرفنا غاليا أفضل من أن نبقي إلى جانب هؤلاء الجبناء"، عندها تحرك الرجال وساروا إلى العثمانيين وأعادوا جزءا من الغنيمة وقبضوا على خليفة الباي وسلبوا العثمانيين[3].

2- تونس :

أما في ما يخص تونس فكان لها حظ الأسد في استثمار فترة السلم ،لأنها عرفت عهد جديد عرف بالعهد الحسيني الذي تأسس على يد حسين بن على، هذا الأخير الذي اهتم بإعادة البناء الداخلي لتونس من عدة جوانب نذكر منها .

أ – تقوية الجيش :

فما إن تسلم حسين بن علي مقاليد الحكم حتى عجل بإصدار أوامره بالشروع في تحصين تونس

[1]-صالح عباد: المرجع السابق،ص155.

[2]-:نفسه،ص155.

[3]- نفسه ،ص156.

ليدرأ عنها مغبة حصار الجزائريين، فتم حفر خندق حول المدينة، وكرست جهوده مضنية لإتمام تشييد الأبراج و ترميم الأسوار،ونصبت المدافع الضخمة فوق سقوف بوابة المدينة، واهتم بالجيش ودعمه بجنود جدد،عن طريق التجنيد الإجباري عل أهالي مدينة تونس، ووزع السلاح عليهم [1].

ب– الاهتمام بالعلم العلماء والرعية :

اهتم بإحياء الدروس، وعظم جانب العلماء، وأصلح الكثير من مقامات الصالحين،ولما استقر الحسين بن علي على كرسي المملكة التونسية،وسار في الناس بسيرة مرضية، وقطع شوكة أهل البغي والفساد، وقمع الخلاف والعناد وسادالبلاد بأحوال مرضية،واهتم بإجراء الشريعة المحمدية،وإحياء السنة، واهتم ببناء المساجد مثل : المسجد الأعظم الذي نور به قصور بارود، وبني به صومعة لطيفة الشكل واعتنى بجمع الكتب ، وحصل على خزانة عظيمة[2]

ج– إصلاح البنية التحتية :

لقد اهتم ببناء مدينة القيروان، وقام بإصلاح ساقية المرحوم يوسف داي، وبني مدرسة مدينة القيروان، وفتح مرسى حلق الوادي، ونفضه من الردم الذي أحدثه النصارى، وصرف عليه مالا جسيما ونفضه من الأتربة والأحجار، واهتم بالموانئ، وأعاد المراكب للعمل كما كانت[3].

د – توطيد العلاقات بين تونس وفرنسا:

إن العلاقات بين الباي حسين بن على من جانب،ولويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر من جانب أخر،خضعت لحركة ينتابها تارة التوتر،وتارة أخرى الانفراج، وخلفياتها مرتبطة بالقرصنة،وكثيرا ما تهيجها الإجراءات الاقتصادية المتعلقة بصيد المرجان والرسوم الجمركية[4].

[1]– الفونص روسو:المرجع السابق، ص163.

[2]– حسين خوجة: المصدر السابق، ص162.

[3]–نفس المصدر ،ص161.

[4]– مليكة الشيخ:المرجع السابق،ص56.

وقد تم في عهد حسين بن على عقد معاهدتين لتحقيق السلم،وقامت فرنسا بتوقع المعاهدتين مع تونس،دون اللجوء إلى الباب العالي،لأنها علمت ضعف تأثير الدولة العثمانية على تونس، ففكرت في عقدهما معها حتى يكون التفاهم اقرب والصلة أوثق[1].

1 – معاهدة 06 ديسمبر1710م:

ركزت هذه المعاهدة على ترسيخ العلاقات السياسية والاقتصادية، وهذا من خلال ما تضمنته بنودها التي نصت على المعاملة بالمثل، والاهتمام بالرعاية الفرنسيين المتواجدين في تونس، والتركيز بشكل كبير على التبادل التجاري، واحتفاظ فرنسا بامتيازاتها التجارية في صيد المرجان وغيره[2].

2 – معاهدة 01 جويلية 1728م:

اهتمت في مجملها على العلاقات التجارية،فحددت قيمة التعويضات ب 8000ريا تسلم على متن سفن الملك تعويضا عن الخسائر التي لحقت بالبحرية الفرنسية على يد القراصنة التونسيين،ومنح امتيازات جديدة للشركة الفرنسية لصيد المرجان بالرأس الأسود ،وذيلت المعاهدة بختم حسين باي، وانتهت بتوقيع قائد الاسطول[3].

المبحث الثالث :الفتنة الباشية وتداعياتها على العلاقات.

امتازت تونس منذ أواخر العهد الحفصي بالصراع حول السلطة، ولقد استمر هذا الصراع طيلة الفترة الحديثة،لكن بعد تأسيس الأسرة الحسينية على يد حسين بن على سنة 1705م، تجدد هذا الصراع من جديد، ليصبغ بصبغة جديدة سميت بالفتنة الباشية.

والسؤال الذي يطرح حول هذا الموضوع هو:إلى أي مدى أثرت الفتنة الباشية على وحدة تونس؟،وهل ساهمت في تقوية الصراع بين الإيالتين؟،وكيف استفادة الجزائر منها؟.

[1] – حسين خوجة: المصدر السابق،ص37.

[2] – ياسين صنديد:المرجع السابق، ص49.

[3] – Rouard de card : **Traités de la France avec les pays de l'Afrique du nord**, pedoneparis, 1906 p172.

1 – تأثير الفتنة الباشية على الوضع السياسي في تونس:

بدعت بوادر الفتنة الباشية تلوح في الأفق بعد تثاقم العداوة بين حسين بن على من جهة وابن أخيه على باشا من جهة أخرى،وعندما أدرك الباي أن ابن أخيه قد عزم عند فراره إلى جبل وسلات على تزعم تمرد من هناك ، فزحف عليه بقواته ،واستنفر معه قبائل دريد، وأولاد سعيد ، والسواسي، والمثالـــيت، وجلاص، وأولاد عون ، والك ـــعوب، وبسبـــب هـــذه الفتنة انشقت تونس إلى طائفتين،طائفة تابعة إلى حسين بن على،والآخرة تابعة إلى على باشا،فادى هذا الصراع إلى تفتيت وحدة تونس وتمزيق أواصل الأخوة[1].

أ – أثرها على الصعيد الداخلي :

بعد ما اغتصب على باشا الحكم بقوة السلاح، وبعد أن سيطر على الوضع واستب له الأمر، كان يبالغ في الانفراد هو وابنه يونس ومحمد بالسلطة ويصدر الأحكام السريعة،وكانت في الكثيرمن الأحيان دموية ولقد اثر ذلك عل الصعيد المحلي بغلث خطير في السكة حتى أن الريال تردى إلى نصف قيمته[2].

ولقد أثارت هذه السياسة ردود فعل عديدة من ثورات اغترفت في سيل من الدماء،كانتفاضة الانكشارية في سنة 1743م،وانتفاضة قبيلة الهمامة الكبيرة سنة 1750م،والأخطر من ذلك أنا الأهالي تخلوا عن النظام تخليا شبه تام وخاصة عندما دقة ساعة الخطر سنة 1755م[3].

ب – أثارها على الصعيد الخارجي :

لقد استولى في صيف 1741م على مركز الجنوبيين التجاري واسر جاليتها الأجنبية بكاملها ووضع حدا للوجود المسيحي في تلك البقاء بعد أن تواصل قرنيين بكاملين،ثم التفت إلى مركز كاب نيقرو

[1] – راشد الامام:المرجع السابق،ص58.

[2] – نفسه،ص59.

[3] – الهادي الشريف:المرجع السابق،ص85.

التجاري الذي يشغله التجار الفرنسيون شرقي طبرية،ويتعاطفون فيه تسويق حبوب إفريقيا، ففتكه منهم ودمره تدميرا،وكانت غايته إجلاء التجار الأوروبيين من سواحل تونس[1].

2 – التحالف الجزائري مع علي باشا 1735:

بعد دخول تونس في صراع دامي بين علي باشا وعمه الحسين بن علي الذي عرف بالفتنة الباشية، لكن انتصارات حسين بن علي على ابن أخيه،أجبرت علي باشا على الاستنجاد بالجزائر لنصرته وهذا ما حدث بالفعل.

أ–استنجاد علي باشا بالجزائر 1735م :

ولما عجز علي باشا على مواصلة الحرب ضد عمه، التجأ إلى الجزائر التي كان يحكمها عبدي باي[2]،لكن داي الجزائر قام بسجنه في الدار التي استغلها الباشا داخل أسوار القصر ذاته، اقتضى حبسه أن لا يتمكن من الذهاب ولا الرجوع ولا يستقبل أي أحد،ولم يسمع له بأداء صلاة الجمعة، ولا حتى في صلاة الأعياد، وظل هكذا محبوس خمس سنين و نيف [3].

ويذكر ابن الصغير في كتابه المشرع الملكي مساندة باي التيطري لعلي باشا لتحقيق مراده بقوله:" ولما جاء باي التيطري إلى مدينة الجزائر اشتكى له علي باشا حاله وقال له: " إنني جيت مستجير بكم وهذا الوجق المنصور، والآن سبع سنين أو أقل في هذه البلد ننتظر نصرتكم، وكل من أتى إليكم نصرتموه، وبلغتموه مراده ،.....ولكن يا سيدي يا أخي المطلوب من فضلك أن تتكلم مع الدولاتلي إبراهيم خوجة، إما أن يسرحني ،.....و الذي قدره الله لا مهرب منه ولا حيلة "[4].

---

[1]– الهادي الشريف:المرجع السابق،ص85.

[2]– يلقب بالكردي والأعور ، وقد يكون من أكراد العراق، تقلد عدة وظائف عسكرية وإدارية منها أغا صبايحية العرب،وارتق إلى منصب باي التيطري، عين حاكم على الجزائر في 15 مارس 1724م، انظر: عبد الرحمان الجيلالي : **تاريخ الجزائر العام** ، ص226.

[3]– ابن المفتي حسن بن رجب شاوش : **تقييدات ابن المفتي في تاريخ بشاوات الجزائر وعلمائها**، جمعها واعتنى بها فارس كعوان،بيت الحكمة، الجزائر،2008م،ص71.

[4]– ابن الصغير: المصدر السابق، ج2،ص82.

ولقد تمكن من خلال إقامته في الجزائر من إيجاد بعض المؤيدين له من الأمراء والرياس، وتعهد للجميع بأنه عندما يصبح أمير للأمراء سيسدد الديون المترتبة عليه،وانه لن ينس الجزائر،وسيقدمجميع المساعدات التي تحتاجها الجزائر، وسيرفع الضيق عن الخزينة،وصدق إبراهيم باشا تعهده ووعده بالمستعدة[1].

ب – تجهيز الحملة الجزائرية و سيرها إلى تونس 1735م :

ولما تولى إبراهيم باشا الحكم أجرى على علي باشا العفو، وجهز له العساكر وبعث معه الباي بوكمية، وأرسل إليه جوابا قائلا له :"فراه قادم إليه أخو صاحب ولاية تونس، وبيده عساكر من عندنا، فلازم أنت تنظم ما استطعت من عساكر وعمل معه كل جهدك بالتأويل وكن صاحب له في الإقامة والرحيل[2] .

فلم سمع حسين بن على بالنبأ عرض على داي الجزائر مبلغ خمسين ألف سكة مقابل الحصول على السلم،وأرسل في نفس الوقت يستنجد بالقسطنطينية أن تتدخل في الأمر للحيلولة دون الحرب،فوجه الباب العالي رسولا يحمل أمرا بتحريم كل حرب مع تونس،لكنه وصل بعد انطلاق الحملة،وفي المقابل كان إبراهيم باشا داي الجزائر ناقما على الباب العالي إذ وعده بإرسال نجدة لتحرير وهران من الاسبان ولم ينفذ وعده لأنه كان مشتغل بالحرب ضد روسيا[3] .

غير أن داي الجزائر لم يلتفت إلى تلك الأوامر السلطانية ولم يطلع على فحواها احد من مرؤوسيه، ولكـــي يوحي لقـواته بان الأوامرالتي جاءته من الأستانة ليست سوي أوامر مزورة،فانه أمر بقطع رأس الرسول الذي نقلها إليه،وبعد ذلك طلب الداي من الخزناجي مواصلة القتال ضد التونسيين،ولقد بدا زحف المحلة الجزائرية في شهر ماي 1735م[4].

[1]- سامح ألتر: المرجع السابق،ج1، ص476.

[2]- العنتري: المصدر السابق،ص 54.

[3]- مبارك الميلي: المرجع السابق،ص219.

[4]- الفونص روسو:المرجع السابق،ص178.

وكان يقود الجند صهر الباشا إبراهيم، وهوخوجة الخزناجي، وكذلك باي قسنطينة، وآخر يسمى قور حسين،وغادر هؤلاء الجزائر في 22 ذي الحجة 1735/1174، ووصلوا إلى الكاف، وأما حسين باي وأولاده ومن وجدوا بقربه،وكان عددهم ثلاثين نفسا، فقد اجتمعوا للفرار، وكل من خشي من عداوة علي باشا لحق بحسين باي [1].

ج – معركة وادي مجردة أوت 1735:

وبعد وصول المحلة الجزائرية إلى تونس تمركزت في وادي مجرد وبتحديد في شهر أوت 1735م، فخرج إليها حسين بن على ومن معه من القبائل مثل: قبيلة دريد وأولاد سعيد ومحلة ابن محمد، إلا أنها خذلته ،مما اجبره على الفرار بعنقه ومن بقي معه إلى القيروان[2].

ولقد وصف العنتري هذا المشهد بقوله: " فلما وصل الخبر إلى صاحب ولاية تونس تراه نهض في الحال و رتب عساكر وأمحال وخرج هو معهم ونزل بناحية القيروان، وبقي مقيم هناك لأجل مطاردة الحملة القادمة إليه من الجزائر، فلما وصل إليه الباي بوكمية وقابلة بالعساكر الجزائرية، ثم أنشأ الحروب العظيمة والمقاتلة الشنيعة فانهزم الجيش التونسي وهرب صاحب ولايتها إلى مدينة القيروان[3].

انسحب حسين بن على مع أولاده إلى القيروان وقد كان جريح وبقيت الجهات التي جنوبي سوسة والقيروان موالية له،فدخل على باشا مع جيش الجزائر إلى تونس واخذ في يده إمارة الإمارة، وقد استأثر بإمارة الوطن لنفسه ولم يعطيها لأحد[4].

وبعد ذلك اعترف على باشا بتبعيته للجزائر،والتزم بدفع ضريبة سنوية تقدر بمائة ألف أوقية،وبكمية من القمح لتمويل الجيش العثماني،لكن التونسيين الذين اشتدت عليهم وطأة الضرائب، ثاروا من كل

[1]- ابن المفتي: المصدر السابق ،ص 72.

[2]- ابن يوسف الصغير:المصدر السابق،ج2 ،ص84.

[3]- العنتري: المصدر السابق،ص55.

[4]- سامح ألتر:المرجع السابق،ج2،ص344.

جهة، وعجز الباي الجديد عن الوفاء بالتزاماته،وانتهت الحملة التي كان يعلق عليها داي الجزائر أمال كبيرة،بفشل ذريع[1].

ولقد تمكن على باشا من اعتلاء كرسي العرش التونسي بقوة السلاح، وتسبب في شرخ كبير حل بالمجتمع التونسي الذي أصبح تحت حكم رجلين على باشا في تونس، وحسين بن على في القيروان، وبذالك عاد الصراع من جديد وبقوة .

ومما سبق نستنتج :

- أن العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس مع مطلع القرن الثامن عشر امتازت بالتوتر بسبب حملة مراد باي على قسنطينة سنة 1700م التي باءت بالفشل، مما تسببت في مقتله على يد إبراهيم الشريف، وبعد تمرد إبراهيم الشريف تغيرت الكفة لصالح الجزائر، فقضت على تمرده في الحملة التي جهزتها سنة 1705م،إلا أنها لم تستفيد منها بسبب بروز حسين بن علي الذي قلب الكفة لصالحه.

- وبعد تنصيب حسين بن علي على الكرسي اتسمت العلاقات بالسلم مابين(1705-1728)،

لكنها لم تدم طويلا بسبب ظهور الفتنة الباشية التي كانت من بين الأسباب الرئيسة التي ساعدت الجزائر على التدخل في شؤون تونس .

-ولقد كانت للفتنة الباشية انعكاسات كبيرة في توتر العلاقات، ويتضح ذالك من خلال دعم الجزائر لعلي باشا سنة 1735م من أجل القضاء على عمه والاستغلال بالسلطة، وبعد تحقيقه لمراده اجبر على التبعية للجزائر.

[1]- مبارك الميلي :المرجع السابق ،ص219.

كانت العلاقات السياسية في النصف الأول من القرن الثامن عشر متوتر في الكثير من الأحيان بسبب تمرد إبراهيم الشريف في البداية، ثم الفتنة الباشية ،فتدخلت الجزائر مرتين، انهزمت في الأولى، وانتصرت في الثانية، بحيث عينت علي باشا بايا على تونس، فأصبح تابعا لها لمدة من الزمن .

وبعد تمرد علي باشا وثورة ابنه يونس انقلبت الأدوار،فأثر هذا التمرد على العلاقات أكثر من ذي قبل ، وعلى اثر ذلك نقول: بماذا امتازت العلاقات في النصف الثاني من القرن الثامن عشر؟، وهل حافظت الجزائر على هيبتها ومكانتها ؟،وكيف استطاع بايات تونس الجدد رفض التبعية للجزائر؟.

هذه الأسئلة وأخرى نجيب عنها من خلال هذا الفصل، الذي نتحدث فيه عن انقلاب الأدوار فيعهد علي باشا وحمودة باشا.

المبحث الأول:ثورة يونس باي ونتائجها على الجزائر.

1 – ثورة يونس باي :

كانت ثورة يونس ضد أبيه بسبب مبالغته في جمع الضرائب ويتعدى الشرع والقانون والاستيلاء على أموالوأملاك الناس،وقبل شروع يونس في التمرد حضر الأرضية المناسبة للثورة وباشر في استمالة عدد كبير من الجند عن طريق تغيير سياسته إلىالأحسن في معاملتهم، خاصة منهم الأتراكالعثمانييناآتين من أزمير [1].

وعندما علم علي باشا بما أقدم عليه ابنه،فحشد كل ما توفر له من الجنود في مجموعات صغيرة داخل قصر باردو،وأمرأبناءه محمد وسليمان بالخروج على رأس هؤلاء الجند لاعتراض أخيهما يونس ومنعه من اقتحام قصور ضواحي العاصمة[2] .

ولقد قام يونس داي باستمالة نفوس العسكر التركي في مدينة تونس،ورفع في رواتبهم،وادخل في الخدمة العسكرية من كان قد طرد منها،مما جعله يصمد أمام والده،وبعث إلى حصون وقلاع حلق الوادي

[1] – ابن يوسف الصغير: المصدر السابق، مج3، ص 186 .

[2] – الفونص روسفو:المرجع السابق،ص205.

يأمرهم بالاستسلام له باسم الديوان، فأعذن مدافعها لأوامره دون مقاومة، وأمر بمصادرة كل الذخائر،وفتح نيران مكثفه على قوات والده التي كانت متخندقة في باب السويقة[1] .

أما والده فقد جهز المدافع وأمر بإحداث ثلمه في أسوار العاصمة،بواسطة زرع الألغام والقصف المدفعي ،ولم يحرز كلا الجانبين أي تفوق ملموس،وبالرغم من كثرة الطاقات التي كانت تقوم بها قوات يونس باي،إلا أنها لم تفضي إلى ترجيح كفته[2].

وعندما أدرك يونس باي أن وضعه قد صار يسوء يوما بعد يوما،لان الذخيرة كانت على وشك أن تنفذ منه تماما،وبع ذلك بقي يقاوم بكل ما أوتي من قوة من عند ناحية باب السويقة،الذي كانت مشارفه قد تحولت إلى أنقاض،كما تهدم كل ما كان يجاوره من أحياء مدينة تونس،وبات واضحا ليوسف باي انه لم يعد قادر على التصدي لقوات شقيقيه،فجمع كل ما لديه،وتأهب للخروج خلال الليل عبر إحدى البوابات السرية للقصبة[3].

وبعد فشل يونس وتراجعه تسبب في حرب أهلية هزت كيان الدولة،وسرعان ما استوعب المواليين ليونس خطورة الأمر،فتخلوا عنه خاصة عندما نجح أخوه محمد في اقتحام القصبة والقضاء على أنصاره وبعد ذاك توجه يونس باي إلى باي قسنطينة طالبا النجدة[4].

2- تأثيرها على الجزائر :

بعد ما تمكن يونس باي من الفرار والنجاة من أبيه ،التحق بإيالة الجزائر،واستقر بتبسة،واتصل بباي قسنطينة حسان ارزق عين سنة 1755م،وأثناء وجوده كان يعمل علىاستعطاف داي الجزائر ، لعله يشفق عليه ويجهز له حملة لاسترجاع حكمه[5] .

---

[1]- الباجي المسعودي:المصدر السابق، ص125.

[2]- الفونص روسو:المرجع السابق،ص208.

[3]- نفس المرجع،ص209.

[4]- محمد عطية:المرجع السابق،ص103.

[5]- صورية حصام:**العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،جامعة وهران،السنة الجامعية (2012- 2013م)،ص74.

ولقد كان لهذه الفتنة تأثير على علاقات الجزائر مع تونس،لان الجزائر كانت تقف دائما إلى جانب المهزوم،لكن في هذه المرة كان العكس،بحيث أن يونس باي احتدم التنافس بينه وبين أبناء عمه حسين بن على الذين جاءوا لنفس القرض،ورغم محاولات يونس باي استعطاف داي الجزائر لمساعدته،إلا انه لم يكن له اهتمام كبير من طرف الداي،وذلك بسبب سوء معاملته للجزائريين أثناء حكم أبيه[1].

وبعد فتنة يونس باي وتمرد أبيه،وجدت الجزائر الفرصة للتدخل في شؤون تونس من جديد،لأنها قبل ذلك قد نصبت على باشا على عرش تونس،الذي لم يستمر في ولائه،وهذا ما سنتحدث عنه في العنصر الموالي الذي سنبرز فيه موقف الجزائر من تمرد على باشا.

المبحث الثاني :تمرد علي باشا على الجزائر:

1 – تمرد علي باشا:

بعدما وصل علي باشا إلى الحكم،حكم البلاد بصرامة وحزم،وكانت معظم أحكامه تتميز بالدموية،وحكم سلطة السيف وخصوما في مؤيدي عمه وأبنائه، وحصر الفلاحة في الجانب الزراعي، وعمد إلى تطبيق سياسة المشتري،والتي أثارت ردود فعل أدخلت البلاد في دوامة الحروب من جديد،كانتفاضة الإنكشارية (1743-1752م)[2].

ولم تزل علاقات علي باشا مع الجزائر في تدهور منذ 1735م،لكن كبرياء علي باشا وصرامته في كل ما يتعلق بشؤون السيادة من جهة، ومطالبة أتراك الجزائر إياه بدفع ضريبة سنوية واللهجة الآمرة التي كانوا يخاطبونه بها من جهة أخرى، أدت إلى المصادمة ثم القطيعة بعد سنة 1740م[3].

2– أبناء الحسين بن علي في الجزائر:

[1] – الفونص روسو:المرجع السابق،ص210.

[2] – ياسين صنديد: المرجع السابق،ص24.

[3] – الهادي الشريف:المرجع السابق،ص86.

بعد تخلف علي باشا عن إنجاز ما تعهد به للجزائر، وكان ذلك سبب في توتر العلاقة بين حكومة الجزائر وحكومة تونس،فساءت الوضعية السياسية بين الطرفين وكانت فرصة طيبة لدى خصوم وأقارب علي باشا، فبادر بانتهازها محمد بن حسين باي تونس لهذه الفرصة[1] .

ويصف الشريف الزهار في مذكرات حسن استقبال داي الجزائر لأبناء الحسين بقوله:".....كان علي باي وأخوه محمد باي و محمود باي قدم الجزائر بعد مقتل أبيهم بالقيروان في عهد إبراهيم باشا، وكان إبراهيم باشا لما أتوه وإلتجأوا إليه، يعظهم ويقرب مجلسهم ويعرف حقهم، واعتذر لهم عما صدر منه في جانب والدهم حسين بن علي،ووعدهم بأن يأخذ بحقهم و يردهم إلى سرير ملكهم [2].

3 - دعم الجزائر لأبناء الحسين لاسترجاع ملكهم :

وبعد استقرار أبناء الحسين في الجزائر، ووصولهم إلى مبتغاهم، بعث داي الجزائر إلى باي قسنطينة برسالة يأمره فيها بالاستعداد للحرب قائلا له:"إن صاحب ولاية تونس نكل وظهر في شروطه الخلل، فواجب أن نعمل معه ...، ولازم تمشي أنت وابن عمه المستقر عندك وتقابلوه بالإفتان، إما يوفي بملتزماته وإلا يحل به ما حل بأوائلهم من قبله[3].

فلما وصل الخبر إلى علي باشا أمر بإخلاء البلاد الغربية الواقعة مع الحدود الجزائرية، وطلب من سكانها دخول مدينة تونس وقام بتحصينها، ويصف المشرع الملكي حال الناس بقوله :"وأخذت الناس في التوديع ليوم الموعود، وجرت الناس من باجة أفواجا أفواجا وقالوا: "المؤمن لا يلدغ من الجحر مرتين، ومن لسعته الحية يخاف من قطع الحبل المرمية، ورحلوا الصمادحية بأسرهم غنيهم وفقيرهم، وأعيان باجة كلها أتبعهم "[4].

ولقد جهز داي الجزائر جيشا وأمر حسين باي حاكم قسنطينة الملقب بأزرق عيون ليأخذ أهبته ، كما أن محمد وعلي حشدا المتطوعين على الحدود وتجمعت كل هذه القوى ودخلت أراضي الإيالة التونسية

[1] - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق،ص 234.

[2] - الشريف الزهار:المصدر السابق،ص32.

[3] - العنتري:**تاريخ قسنطينة**،ص 59.

[4] - ابن الصغير:المصدر السابق، ج4،ص24.

في سنة 1755م، وصلت أمام تونس فطوقتها،ثم هجمت المدينة واستولى عليها وتعرضت مدة عشرين يوما لنهب فظيع[1].

ولما وصلوا مدينة الكاف مكثوا ستين يوما وهم في الصراع، ولما ضعف الجيش الجزائري أجبر داي الجزائرعلى تقديم المدد العسكري، وحين وصل ذلك المدد إليهم فتح الله نصرعليهم ودخلوا مدينة الكاف [2].

ولقد هاجم الجيش الجزائري قناصل النمسا والسويد، وتايلاند، وألقي القبض عليهم ، كما استولى على أموالهم،وسجنهم واسترق أفراد عائلاتهم، ومنزل القنصل الهولنديلأنه قدم البارود والذخيرة للتونسيين[3].

وبعد دخول أبناء الحسين والجيش الجزائري لمدينة تونس في 30سبتمبر1756م، شهدت سلسلة من أعمال السلب والنهب،ولم تسلم من تلك الأعمال في الفنادق القنصلية،ومساكن التجار الأوروبيين وانتهت هذه الحرب بقطع رأس علي باشا، ودفع ضريبة سنوية للجزائر، ومنذ مقتل علي باشا عاد الحكم لأبناء حسين بن علي [4].

ولقد نصبوا على البلاد محمد باي أحد أنجال مؤسس الأسرة الحسينية، وهو الباي الذي قبل لأول مرة في تاريخ تونس، أن يلتزم للجزائريين بدفع غرامة سنوية كبيرة[5].

ولقد أجبر داي الجزائر سنة 1756م،علي محمد بن حسين باي تونس الذي نصب من طرف الجزائر على تحطيم حصن مدينة الكاف المنيع الذي كان قائما بالقرب من الحدود بين البلدين،

وألزمه دفع أموال كثيرة تقدر بنصف مدخول الباي من الضرائب[6].

[1]- سامح ألتر:المرجع السابق، ج2،ص253.
[2]- العنتري :المصدر السابق، ص60.
[3]- سامح ألتر: المرجع السابق، ج1، ص516. .
[4] - ابن أبي الضياف: المصدر السابق،ج1، ص149.
[5]- راشد الإمام: المرجع السابق،ص60.
[6]- ابن أبي الضياف: المصدر السابق،ج1،ص146.

وأوجب علي باي تونس بعث كميات كبيرة من الأقمشة وزيت الزيتون إلى الجزائر، وحتم على محمد باي مسايرة وإتباع رغبة الجزائر في علاقاته الخارجية مع الدول وخاصة في عقد المعاهدات معها، واعتبار تونس دولة تابعة سياسيا للجزائر [1].

المبحث الثالث : حمودة باشا ينتفض ضد الجزائر :

1-وصول حمودة باشا للحكم :

لم يصل حمودة باشا إلى الحكم بسهولة بل من خلال ما كان يحمل من تجارب عن السياسةو الحكم وهذه في عهدأبيه،فكان لأبيه دوركبير في بنشأته وتعليمه،مما أثر إيجابا على حياته،ذلك من خلال

أ- نبوغه وصفاته :

ترعرع حمودة باشا على يد أكابر علماء تونس العارفين بأمور السياسة والحكم، ولقد تعلو عدة لغات ، منها اللغة العثمانية، وكان له إطلاع على بعض اللغات الأخرى،وفهمها فهما عاما كالفرنسية والمالطية، أما اللغة العربية فقد أتقنها نطقا وقراءة، غير أن كتاباته كانت ضعيفة تغلب عليها الألفاظ العامية التونسية [2].

ولقد امتاز بصفات عديدة منها شدة تعلقه بالحياة العسكرية وميله للمشاركة فيها،بحيث تولى قيادة المحلة العسكرية التي كانت تجوب مختلف أنحاء البلاد التونسية لجمع الضرائب واستدلال الأمن في البلاد وعمره لا يتعدى العشرين سنة[3].

ب-ارتقائه في المناصب :

بدأ حمودة باشا يمارس بعض شؤون السلطة منذ أن كان شابا صغيرا لا يتجاوز عمره السادسة عشر وذلك بتوليه الحكم في القضايا المعروضة على محكمة الباي منذ 1774م[1].

---

[1]- سامح ألتر:المرجع السابق،ج1،410.

[2]- كمال مايدي:**علاقات تونس مع دول غرب أوروبا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا(1782 - 1814م)**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،المركز الجامعي غرداية،السنة الجامعية (2011-2012م)،ص47.

[3]- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج3،ص28.

ولقد عينه أبوه مساعدا له في تسيير شؤون الإيالة، بحيث كان له دور كبير في توطيد العلاقات بين تونس وفرنسا، بعد معاهدة الصلح التي عقدت سنة 1770م،وبذلك استطاع حمودة باشا كسب ثقة الجميع ليكون خليفة لأبيه[2].

ويظهر أن سكان تونس استطاعوا أن يقدروا مهاراته أثناء السنوات الخمس التي قضاها وليا للعهد ما بين (1777-1782م)، وكانوا يستقبلون عهده بالرضا والثبات .

ج-مبايعة حمودة باشا :

إن كفاءة وقدرة حمودة باشا في إدارة البلاد أهلته لمنصب باي تونس، فعندما تقدم علي باشا في السن،وبدأ المرض يصارعه،طلب منه وزراءه أن يولي إبنه من بعده لكي لا يقع خلاف يحدث الفتنة في البلاد[3] .

واستطاع حمودة باشا أن يكسب ولاء سكان تونس خلال الخمس سنوات التي قضاها وليا للعهد، وبعد وفاة أبيه في 30ماي 1782م، فجدد له الناس البيعة ،تعزيته مقرونة بتهيئته البيعة العامة [4].

2-الصراع مع صالح الباي:

بعد ما استقر حمودة باشا في الحكم اهتم بجملة من الإصلاحات لإعادة هيبة تونس في الداخل الخارج،ولتصبح تونس بلد منافس للجزائر ولدى حمودة باشا علاقاته مع الجزائر وذلك من خلال ما يلي :

أ- سياسة حمودة باشا اتجاه الجزائر :

ولما تولى حمودة باشا العرش سنة 1782م، وجد نفسه أمام رغبتين تتعلقان بسياسته المستقبلية مع الجزائر، الرغبة الأولى وصية أبيه التي تقول :"أن موارد تونس تشبه الرغيف من الخبز يقسم على أربع قطع، تؤخذ منها واحدة وتعطى للجزائريين القطع الثلاثة الأخرى، وذلك حتى يمكن العيش في تآلف

[1]- ابن أبي الضياف، المصدرالسابق، ج3،ص213.

[2]- كمال مايدي: المرجع السابق،ص49.

[3]- نفسه،ص50.

[4]- راشد الامام:المرجع السابق،ص97.

مع أولائك الأقوام الجزائريين" المضطربين المرعيين " ، والرغبة الثانية هي رغبة الجزائريين في أن يبدأوا معه من حيث انتهوا مع أبيه [1].

وكما اعتمد في سياسته مع الجزائر إلى حد ملحوظ على نشاط الجوسسة والعيون العاملين داخل الجزائر وعلى امتلاك وكلاء الجزائر بتونس إلى جانبه، ولقد أسس في سانية المرناقة مركز للتجسس على الجزائر [2] .

ب- تغذية القبائل المتمردة للصراع :

أما فيما يخص مساعي صالح باي الرامية لتأمين حدود البايلك الشرقية قسنطينة،فتمثل في موقفه الحازم من باي تونس حمودة باشا، بحيث أصر صالح باي على المطالبة بتعويضات ملائمة من الخسائر التي كان قد أحدثها حسن الكبير قائد علي باي، عند ملاحقته لقبائل تونسية، استقرت بجنوب تبسة هروبا من تعسف علي باي [3].

وتحت تهديدات صالح باي باستعمال القوة، اضطر حمودة باشا إلى الرضوخ إلى مطالبه، وتقديم تعويضات ملائمة، بعد أن لم يرى فائدة في الاستعداد للحرب والتصدي لصلح باي، ولا سيما أن وضع تونس خرجا كان سيئا بسبب تطورها في خلاف مع البنادقة، وبذلك حصل على تعويضات سنة 1784م تقدر بخمسة وعشرين ألف سكة[4].

وفي المقابل حدث العكس وتجد الصراع بسبب متابعة صالح باي لبعض العشائر الجزائرية الخاضعة لحكمه، والتي التجأت بدورها إلى الأراضي التونسية هروبا من المطالبة المالية التي فرضها عليها عمال صالح باي[5] .

[1]- راشد الإمام:المرجع السابق،ص411.

[2]- نفسه،ص442.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**،دار البصائر، الجزائر، ط 3،2009م،ص244.

[4]- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج 3،ص180.

[5]- سعيدوني:**ورقات**،ص244.

فلقد قرر صالح باي رد القبيلة المتمردة، جهز جيشا قارب عدده ستة ألاف جندي،ولم سمع حمودة باشا بهذه التحضيرات،جهز هو الأخر نفسه واعد جيشا قوامه ثلاثة ألاف جندي من العثمانيين،واضطر في أخر المطاف إلى الخضوع خوفا من وقوع الحرب،فبعث صالح باي محمد خوجة لاسترداد الفارين،حيث جلب كل من أراد منهم.[1]

وبالتالي فإن القبائل المتمردة في بلاد الإيالتين قد ساهمت مساهمة كبيرة في توتر العلاقات،والزيادة في حدة الصراع على المناطق الحدودية،وهذا ما جعل حمودة باشا يقوم بغزو قسنطينة ضد صالح باي .

3 – عودة السلم (1787–1807م):

بعد نهاية الصراع الذي كان قائم بين حمودة باشا التونسي وباي قسنطينة صالح باي،عاد السلم من جديد بين الايالتين،وذلك لعدة أسباب تخص كل إيالة ، وبالتالي سنتحدث عن هذه الأسباب،وان الأوضاع السياسية في هذه الفترة .

أ – تونس :

1 – إعلان حمودة باشا التبعية للجزائر:

إن الصراع الذي كان بين تونس والبندقة جعل حمودة باشا يخش تشتت جيشة في صراعه من بعد الصراع الذي وقع بين صالح باي وحمودة باشا بسبب القبائل المتمردة ، فلحبره صالح باي على الخضوع والتبعية له ،لان وضع تونس في هذه الفترة كان سيئا بسبب صراع حمودة باشا مع الجزائر والبندقية .

فقدم حمودة باشا تعويضات مالية مقابل خسائر الحرب التي قدرة سنة 1784م،بحوالي خمسة وعشرين ألف سكة،وعلى اثر ذالك فان سبب الخلافات بين حمودة باشا وصالح باي كانت بسبب القبائل المتمردة،أوبسبب الخلافات الشخصية بن الحكام ففي طل مرة كان حمودة باشا يشتري السلم من الجزائر وبالخصوص سنة 1778م،لأنه كان يخشي دائما الهجوم الإيطالي[2].

2 – الحرب ضد جمهورية البندقية (1784– 1792م):

[1]– محمد عطية:المرجع السابق،ص111.

[2]– صورية حصام :المرجع السابق ،ص95.

أعلنت جمهورية البندقية الحرب في جويلية 1784معلى تونس،فجهزت حملة بقيادة "ايمو"emo،وبعدوصولها فرضت حصار على حلق الوادي،لكن تدخل الباي وتحذيره بخطورة الوضع اجبره على الانسحاب ،لكن ايمو عاد مرة آخرة بحملة جديدة على سوسة في شهر أكتوبر،التي تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة[1].

وفي سنة 1785م،وبضبط في 30 أكتوبر قامت البندقة بهجوم كاسح على حلق الوادي،أدى إلى هلع داخل الجيش التونسي الذي انسحب مؤقتا من موقعه،لكن القائد البندقي ايمو لم يستغل الفرصة لاحتلال حلق الوادي ،بسبب عدم تلقيه أوامر تخول له ذلك[2].

وفي 12مارس 1786،كان أخر هجوم للبندقة على تونس،حيث كان هدفها هذه المرة صفاقس التي قصفها القائد ايمو،ثم توجه نحو بنزرت في 24 جويلية ثم عاد إلى سوسة في 19 سبتمب،وبقي هناك إلى غاية انسحابه، وبعد ذلك تم عقد الصلح بين الطرفين في 20ماي 1792م[3].

ب- الجزائر:

شهدت الجزائر في الربع الأخير من القرن الثامن عشر عدة أحداث سياسية تسببت في إحداث السلم بين الإيالتين،نذكر منها:

1- مقتل صالح باي:

ظل صالح باي يتربع على منصب باي قسنطينة منذ إحدى وعشرين سنة، وكان متمكنا في إقليم قسنطينة، وأثبت كفاءته كقائد حرب وكحاكم إقليم، كما أظهر مهاراته خصوصا خلال حملات 1775م[1].

[1]- كمال مايدي :المرجع السابق،ص102.

[2]- الفونص روسو :المرجع السابق،ص244.

[3]- راشد الإمام :المرجع السابق،ص376.

وقد بلغ الداي حسّان أن صالح باي كان يعمل على الاستقلال بإقليم قسنطينة وأنه لهذا الغرض قام بتحصينات هامة في المدينة، وفي الواقع فإن صالح باي لم يكن يطيع بسهولة تعليمات الداي، بل كان يرهب مناطق الامتياز ويفرض عليها الضريبة، ومع تقدم سنه فقد مثل كل الجبابرة، جميع الميزات الحسنة فيه وكان عدد أعدائه كل يوم في تزايد[2].

وفي 8 أوت 1792م قرر الداي حسان تعويضه بإبراهيم الشرقي قائد سباو الذي انطلق نحو قسنطينة في اليوم ذاته رفقة ستين فارساً ، وعندما علم صالح باي المغضوب عليه بقدوم الباي الجديد فكر في اللجوء إلى عنابة مع أمواله ولكنه أحجم عن قراره بإلحاح من الأتراك وحراسه من القبائل الذين قاموا بذبح الوالي الجديد... وقد وصل نبأ التمرد إلى الجزائر في 23 أوت وفي نفس اليوم قام حسن بوحنك مع مجموعة صغيرة من الإنكشارية بالتسلل إلى قصر الباي صالح الذي ألقي عليه القبض وشنق في 1 سبتمبر[3].

2 – توطيد العلاقات بين حمودة باشا ومصطفي انجليز باي قسنطينة:

كانت الخلافات بين الايالتين بالدرجة الاولى سببها الخلافات الشخصية بين الحكام،لكن هذا تغير مع باي قسنطينة مصطفي انجليز،الذي فر إلى تونس بسبب وقوع خلافات بينه وبين داي الجزائر ،والتى تعود أسبابهاإلى غطرسة وضلم ابن مصطفي انجليز للناس،الذي لم يستطيع وضع حدا لابنه ، فاصدر الداي في حقهما الاعدام،لكنهما تمكنا منالفرار الى تونس،حيث وجدا كل الترحاب منباي تونس[4] .

4–هزيمة الجزائر ضد تونس 1807م:

مع مطلع القرن 19م تغيرت الكفة لصالح تونس، وهذا بسبب تطور العلاقات السياسية وحدة الصراع، فكانت حملة 1807م من أخطر الحملات على الجزائر،فهذه الحملة لم تأتي صدفة بل جاءت بعد تحضر مستمر و هذا ما نبرزه في النقاط التالية

---

[1]– رياض بولحبال :**أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار،جامعة منتوري قسنطينة،السنة الجامعية (2009– 2010م)، ص45.

[2]– عمار عمورة:**موجز في تاريخ الجزائر**،دار ريحانة ،الجزائر ،ط2002،1م،101.

[3]– مبارك الميلي:المرجع السابق،ص243.

[4]– صالح العنتري :**مجاعات قسنطينة**، تح وتق، رابح بونار،الشركة الوطنيةللنشروالتوزيع، لجزائرا، 1974م، ص32.

ا – التحضير للحملة :

كانت العلاقات التونسية مع دايات الجزائر على جانب من الثقة والحساسية، فكانت الفكرة الرئيسية التي واكبت حمودة باشا الخروج من التبعية وإعادة العدة لما ينبغي لها،فقد دعم عسكر الإنكشارية شيئا فشيئا بطوائف جديدة من المشارقة وقوي من مدفعيته ومن أسطوله ،وأعاد إلى أسوار الكاف مكان لها من صناعة، وأصلح أسوار مدينة تونس وبقي يتحين الفرص[1] .

وعمل منذ توليه وصاية العرش، على الأخذ بأسباب القوة حتى تصبح تونس في مأمن من الاعتداءات الخارجية،فبدأ بشراء الأسلحة من الدول الأوروبية بحيث وصل سنة 1786م، إلى تونس عتاد حربي من فرنسا ، ووصلت سفينة جنويةقادمةمن الدانمارك محملة بأربعة وعشرين مدفعا وثمانية عشر برميلا بارود، وخمسة عشر صندوقا من القذائف [2].

بعد أن بلغت العلاقات بين البلدين إلى حد من التوتر، والتي كان أخرها هجوم باي قسنطينة عبد الله على الحدود،والتي أتاحت له الفرصة للتخلص من التبعية للجزائر،وزاد إصراره على حرب الجزائر عندما وفد إليه باي قسنطينة مصطفي انجليز،فارا من أمر القتل الذي أصدره في حقه داي الجزائر رفقة ابنه طلبا لنجدته[3] .

ولقد تعهدا مصطفي انجليز باستمالة جانب كبير منسكان قسنطينة ودعوتهم إلى العمل تحت راية حمودة باشا،بمجرد قيام القوات التونسية باختراق حدود هذه المقاطعة الجزائرية،ثم اتخذ حمودة باشا فرصة تتمثل في تحسين دفاعات مدينة تونس ومرسى حلق الوادي،وتزويد مدينة الكاف بما يكفى من قطع المدفعية [4].

وبعد ذلك جمع حمودة باشا رجال دولته، ووقع نقاش فيما يجب عمله بشأن الجزائر، فاقترح وزيره أبو عبد الله رأيا هذا نصه "...نساعد أحوالنا ولانقطع سياستنا ،فإنها احسم من الحرب "،وأما الوزير

[1]– الهادي الشريف:المرجع السابق،ص90.

[2]– كمال مايدي: المرجع السابق،ص60.

[3]– ابن المبارك احمد : **تاريخ قسنطينة**،تح، رابح بونار،دت، ص50.

[4]– الفونص روسو: المرجع السابق، ص278.

صاحب الطابع فقال"...إن الأمر قد عظم واتسع الخرق على المخيط والإتاوة هي التي أوصلتنا إلى هذه الدرجة من الذل والهوان " [1]، وبذلك اتخذ الكلمة أخيرة على وجوب القتال.

فوجه الباي ندا ءإلى كل ذوي الهمم في البلاد من أعيان وسورين ورؤساء قبائل ومنرجال صالحين وعسكريين محترفين ومنفرسان القبائل المخزنية،فلبوا النداء ورأوا للمرة الأولي ربما إن الدفاع عن نظام الباي دفاع عن قصية البلاد[2].

فلقد قرر القطيعة مع الجزائر، ثم أمر جميع الجزائريين بالرجوع إلى بلادهم، وبعد ما ضربت ست بوارج حربية جزائرية الحصار على ميناء حلق الواد وسدتة ،وتسببت في شل كل نشاط تجاري خارجي، مما أجبر حمودة باشا على إعلان الحرب ضد الجزائر[3] .

جهز باي تونس محلته بقيادة وزيره أبو الربيع سليمان،وبصحبته ابن باي قسنطينة على ابن الحاج مصطفي،واقتصر الداي في تجهيز هذه الحملة على الجند الانكشاري لما لهم من سطوة وقوة،وكان الباي يعلم انه في هذا الغزو يجب عليه تأمين قواعده الخلفية ليست من ناحية الأمن فحسب بل من المؤن والذخيرة الحربية والمواد الغذائي خاصة القمح والشعير وأعلاف الخيول والإبل وكل ما استلزمه هذه الحملة[4].

ب – حصار مدينة قسنطينة 1807م:

بعث حمودة باشا بجيش قوامه أربعون ألف مقاتل يوم 11جانفي 1807م،فزحف الجيش واجتاز الحدود ،وبدأ في حصار مدينة قسنطينة، وقد عاث المحاصرون في أرياف المدينة فسادا كبيرا،حيث نهبوا عربانها واحرقوا دورها،وأمطرت المدافع المدينة بالقنابل طيلة فترة الحصار واستمر الحصار إلى أواخر شهر أفريل [5].

[1]- ابن ابي الضياف : المصدر السابق،خ 3، ص44.
[2]- محمد الهادي الشريف : المرجع السابق، ص91.
[3]- احمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 122.
[4]- محمد عطية: المرجع السابق،ص114.
[5]- ابن المبارك احمد: المصدر السابق،ص53.

وفي هذه الأثناء زحف عليه جيشان أحدهما قادم من عنابة والثاني من الجزائر،مما تسبب في فزع الجيش التونسي بدعوة أنه محاط بقوى جزائرية متفوقة،وأنه لا مخرج إلا الهروب وفك الحصار والانسحاب[1].

وكلفت عملية الانسحاب التونسيين خسائر فادحة،إذ اخذ الجزائريون يتعقبونهم مما كبدهم الكثير من القتلى، فتحول ذالك الانسحاب إلى اندحار شنيع ، فلقد اسر الجزائريون منهم ما بين خمسمائة وستمائة رجل، فيهم المستسلم وفيهم الجريح ،ولم تمض سوى بضعة أيام حتى وصلت إلى مدينة الجزائر قافلة من أربعين بغلا، موسوقة بأحمال مملوءة بأذان القتلى التونسيين كرمز للغلبة وتذكار للنصر[2] .

ج – معركة وادي سراط 1807م:

استطاع الباي أن يتجاوز هذه المحنة، واقتنع في الأخير بدل الاستسلام بتجهيز محلة لصد الجيش الجزائري، وكان من جملة التدابير المتخذة انه منح يوسف صاحب الطابع قيادة المحلة لكونه محل ثقة الباي ولا أحد سواه واستطاع كسب تأييد قبائل المزارقية والوسالتية في هذه الأثناء بعث داي الجزائر إلى باي تونس، كتابا لإقامة الصلح، للعدول عن حالة الحرب، ولكن ذالك لم يجد نفعا، حيثمضى الباي التونسي في تنفيذ مسعاه،ضاربا هذا الجهد عرض الحائط لان أي تراجع سيعيد سياسته إلى نقطة البداية بل كان سيزيد من عناد خصومه [3].

فلقد قرر حمودة باشا الأخذ بالثأر فورا، حيث أمر بإعداد جيش تونسي جديد، كي يلحق على جناح السرعة بالقوات المهزومة التي كانت قد عسكرت عند مدينة الكاف، وذالك للوقوف في وجه الجزائرين فيما لو فكروا في استغلال النصر الذي أحرزوه والزحف على مدينة تونس نفسها ، وبالفعل فانه لم تنقض سوى بضعة أيام حتى خرجت قوات تونسية جديدة تبلغ ثمانية عشر ألف رجل وتوجهت نحو الحدود الجزائرية تحت إمرة وزير الإيالة الأول يوسف صاحب الطابع، الذي تقرر أن يتحمل مسؤولية القيادة العليا للجيش [4].

[1]– احمد الشريف الزاهر:المصدر السابق،ص122.

[2]– الفونص روسو:المرجع السابق، ص286.

[3]– محمد عطية: المرجع السابق، ص 116.

[4]– الفونص روسو:المرجع السابق،ص284.

جهز داي الجزائر محلة انطلقت من مدينة الجزائر بقيادة حسن أغا،والتحمت بالجيش الموجود بمدينة قسنطينة بقيادة حسن باي،ومن ثم سارت المحلة إلى تونس،وفي الوقت نفسه كانت المحلة التونسية في طريقها إلى الجزائر[1].

استمر الجزائريون بالزحف إلى تونس،لكن القائد يوسف تمكن من إيقافهم عند بلدة الكاف التي كانت استحكاماتها قوية ومزودة بمدفعية كافية،قام باي قسنطينة بمحاصرتها،وبعد طول الحصار سئم المحاصرون وعمت الفوضى صفوفهم،فترك المقاتلون المحليون القتال عائدين إلى أراضيهم لجمع الحصاد[2].

ولذلك انهزم الأتراك هزيمة شنعاء،وتشتت كامل الجنود،ففر بعضهم إلى الجيش التونسي والبعض الأخر بقي بقسنطينة،والذين عادوا إلى العاصمة،حكم الداي بشنقهم في باب عزون،كما حكم بإعدام باي قسنطينة المنهزم.[3]

ومما سبق نستنتج:

-أن العلاقات السياسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر امتازت بالتوتر في الكثير من الأحيان بسبب ثورة يونس،وتمرد علي باشا ، وصراع حمودة باشا مع باي قسنطينة، وحملته ضد الجزائر سنة 1807م.

- أما فيما يخص تمرد علي باشا ، فقد جن عليه بالموت، حيث قتل على يد أتراك الجزائر سنة 1756م،وذلك أثناء الحملة التي جهزتها الجزائر لدعم أبناء الحسين لاسترجاع ملكهم،فبقيت تونس في تبعية للجزائر حتى تولي حمودة باشا الحكم،فشهدت هذه الفترة نوع من السلم .

- لكن موازين القوى تغيرت بشكل كبير بعد تولي حمودة باشا الحكم سنة 1782م،ليدخل في صراع مع صالح باي بسبب تمرد القبائل الحدودية، فكانت نتائج الصراع لصالح الجزائر،وعقب هذا دخلت الإيالتين مرحلة السلم حتى مطلع القرن التاسع عشر .

[1]- احمد شريف الزاهر:المصدر السابق،ص125

[2]- سامح ألتر:المرجع السابق،ج 1،ص591.

[3]- مبارك الميلى: المرجع السابق،ج3،ص 258.

– ومع اهتمام حمودة باشا بالشؤون الدخلية لتونس وخاصة بالمجال السياسي والاقتصادي، وجد الفرصة السانحة لوضع حد للعلاقات مع الجزائر وإنهاء التبعية، وكان له ذلك بعد حملته على الجزائر سنة1807م، التي انتصر فيها على الجزائر ما انعكس سلبا على الجزائر،فأثر على مكانتها على المستوى الداخلي والخارجي،حتى أنها أصبحت في تدهور مستمر بسبب الفتن الداخلية مثل: ثورة ابن الأحرش،وتمرد التيجانية وضعف سيطرة الدايات، وفي المقابل كذلك تزايد أطماع الدول الأوروبية وخاصة فرنسا التي بدأت تحضر وتخطط لاحتلال الجزائر إلى غاية 1830م.

وبما أن العلاقات السياسية امتازت دائما بالتوتر في الكثير من الأحيان مما قلل من وجود علاقات سلمية طيلة القرن الثامن عشر،فكانت الجزائر تفرض غرامات مالية على بايات تونس بعد تدعيم بالحملات العسكرية وتنصيبهم حكام جدد ،فكان هؤلاء الحكام في تبعية سياسيا واقتصاديا للجزائر.

لكن وفي المقابل فان الجزائر وتونس كتلة جغرافيا واحد ،وتاريخ مشترك منذ العصور الوسطى، وحتى العهد الحفصي،حيث كان الكثير من الجزء الشرقي تابعا للحفصيين لكن بعد انضمامهما لدولة العثمانية ارتسمت الحدود من جديد مما أثر سلبا على العلاقات الاقتصادية والسياسية .

وبما أن شساعة مساحة الجزائر وغناها الطبيعي ووفرة إنتاجها الزراعي والصناعي، لا يغنيها عن جارتها تونس ، لأنها تفتقر للكثير من المواد ، وهذا ما جعلها توثق علاقاتها الاقتصادية مع تونس رغم الخلافات والنزاعات السياسية .

وللتطرق للعلاقات الاقتصادية بين الإيالتين نطرح جملة من الأسئلة لإثرائها ومناقشتها لتساعدنا على تفسير هذه العلاقات ، ومن خلال ذلك نقول :

- ما هي المؤهلات الاقتصادية في الايالتين ؟. وبماذا امتازت طبيعة العلاقات التجارية ؟

- ما هي أهم الطرق وأسواق التبادل التجاري؟.

المبحث الأول :الإنتاج الزراعي والحرفي في الإيالتين :

1- الإنتاج الزراعي والحرفي في الجزائر:

كان اقتصاد الجزائر في العهد العثماني يتراوح بين الانتعاش في بداية القرن السادس عشر،بسبب قدوم المهاجرين الأندلسيين الذين أدوا أدورا مهمة في زيادة إنتاج الأراضي الزراعية والصناعية والتجارة، ومن ثم التقهقر الذي أصاب الاقتصاد الجزائري بعد النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى الاحتلال الفرنسي 1830م،الذي كان سببه الأوبئة والطاعون و سنوات القحط التي تعرضت إليها البلاد،وتأخر طرق أساليب الزراعة والصناعة التي لم تعرف كيفية تحويل المواد الزراعية إلى صناعية ،

وركود التجارة التي انعكست على جميع نواحي الحياة الاقتصادية،وكانت المنتوجات الزراعية ،والصناعية في الجزائر متنوعة بين الأرياف والمدن، فسكان الريف اهتموا بالزراعة،بينما سكان المدن اهتموا بالصناعة بالدرجة الأولى[1]،وعلى اثر ذلك سنبرز أهم هذه المنتوجات وأماكن تواجدها.

أ-الإنتاج الزراعي في الجزائر :

لقد كان المجتمع الجزائري مجتمعا فلاحيا في العهد التركي،وتقدر نسبة سكانه بأكثر من 90 ذلك كانت الأراضي الصالحة للزراعة واسعة، حيث تشمل مناطق الأطلس التلي والهضاب الداخلية التي تشتهر بزراعة القمح، وتشتهر شرشال والقليعة بإنتاج الزيتون والبرتقال، وتنتشر زراعة الحبوب والبقول بالسهول الساحلية،واختصت المناطق الجبلة بالأشجار المثمرة،وتركز الري في مناطق الهضاب[2].

أما فيما يخص زراعة المحاصيل الزراعية،فلقد انتشرت زراعة التبغ في عناية وفحوص مدينة الجزائر بكميات هامة،أما زراعة القطن التي ادخلها الأندلسيين إلى الجزائر،كان ينتج بكثرة في جهات مستغانم،إلا أنها تضاءلت في أواخر العهد العثماني حيث استبدلت بالصوف والوبر،وفيما يخص زراعة الأرز اختصت هبا مليانة [3].

أما غراسه الأشجار المثمرة فكانت بالمناطق الجبلية بالقبائل والمدية ،وكما ازدهرت البساتين في أراضي الفحوص المحيطة بالحواضر الرئيسية كوهران ومعسكر وتلمسان والمدية،وكان فحص الجزائر أكثرها إنتاجا لاتصالها بسهل متيجة الخصب[4].

ولقد حاول الحكام رفع الإنتاج الزراعي بالالتجاء إلى الحملات العسكرية لإرغام السكان على تقديم المزيد من المحاصيل الزراعية،وتسخير الفلاحين بالأرياف لخدمة أراضي الدولة لإنتاج المزيد من المحاصيل، ولقد أنشأوا لهذا الغرض المطاحن الهوائية بالقربمن المدن،واهتم البايات بإحصاء المحاصيل

[1] – مؤيد محمد حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان:**أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني**،مجلة الدرسات التاريخيةوالحضارية، ع16،نيسان ، 2013م،ص421.

[2] – شوتيام ارزقي:المرجع السابق،ص219.

[3] – حمدان بن عثمان خوجة: المصدرالسابق،ص88.

[4] – نصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائرخلا ل العهد العثماني (1792– 1830م)**،دار، البصائر،الجزائر،ط3، 2012م،ص32.

الزراعية، ومراقبة المواشي، وتحديد مقدار الضرائب التي كانت تقضاها الدولة عن تلك المحاصيل والمواشي [1].

إن وضعية الأراضي الزراعية في الجزائر خلال العهد العثماني أصبحت تتصف بمظاهر الصراع الخفي والاحتكاك المستمر بين أسلوبين من الإنتاج، ونمطين من المعيشة مختلفين أحدهما يرتكز على الارتباط بالأرض وحيازتها والأخر يمتهن الرعي والعزوف عن خدمة الأرض،وهكذا لم يبق من الأقاليم المحتفظة بطابعه الزراعي المتمسكة بتقاليده الفلاحية سوى فحوص المدن الكبرى وبلاد القبائل وشمال قسنطينة والتيطري وسهل متيجة وسهل غريس[2].

ولقد تميز الإنتاج الزراعي في أواخر القرن الثامن عشر بضالة الإنتاج الذي أصبح لايتعدى تلبية حاجيات الأهالي وإمداد إلى بايليك ببعض المحاصيل،وهذا لنتيجة العديد من المشاكل التي أعاقت نمو الإنتاج الزراعي، ومنها تدهور الحالة الصحية في البلاد مما اثر على نمو السكان في الأرياف، وبالإضافة إلى الزلازل والجراد والفيضانات التي كانت كابوس لطالما جثم على صدور الفلاحين،وقد عبر العنتري عن سوء الأحوال المناخية بقوله :"وقع القحط والجفاف حتى انقطعت الحراثة ويبس الزرع"[3].

ب- الانتاج الحرفي في الجزائر:

عرفت الجزائر في العهد العثماني صناعة تقليدية،كانت تستمد خامتها الأولية في أساسها من الإنتاج الزراعي والحيواني، وقد أدى تنوع مواد الخام إلى تنوع الإنتاج، فكانت كل منطقة صناعتها الخاصة،وبالتالي ينقسم النشاط الصناعي في الجزائر إلى صناعات محلية يدوية وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة وهي موزعة بين الريف والمدينة .

أما في الريف فقد كانت القبائل الرعوية تصنع المنسوجات الصوفية مثل:الخيام والحياك والزرابي، وكانت قبيلة ايت عباس تشتهر بخياطة البرانيس وترقيعها بمهارة فائقة،وقد ظل سكان الأطلس

[1]- وليام شالر: المصدرالسابق،ص50.

[2]- صالح عباد: المرجع السابق،ص336.

[3]- صالح العنتري:**مجاعات قسنطينة**،ص45.

الصحراوي يمارسون حرفة صناعة البرانس الحصر والزرابي،ومن بين الصناعات التي انتشرت في الأرياف الأدوات الفلاحية وصناعة الأسلحة،وصناعة الخناجر والعربات وبعض البنادق [1].

أما في المدن فقد كانت تنتشر صناعة نسيج الزرابي والاقمشة وذلك في تلمسان ومدينة الجزائر حيث كانت تطرز الملابس، وكانت تحتوي على العديد من المصانع الخاصة بصناعة الأسلحة والذخائر الحربية ، وكانت تنتشر في مدينة تلمسان والجزائر الصناعة الفضية والذهبية،وكانت طائفة اليهود تشرف على هذه الصناعات،حيث اختصت بصناعة بعض الجواهر والحلي والأحجار الكريمةولقد اهتمت الدولة بالصناعة المعدنية المتمثلة أساسا في استخراج الملح من وهران ومعالجة الجبر وبناء بعض السفن الخشبية بميناء الجزائر وكذلك تحضير البارود وسبك المدافع بمدينتي قسنطينة والجزائر[2].

ولقد عانت الصناعة الجزائرية من إهمال الديات وعدم إتباع سياسة تنموية لهذا القطاع مما أدي إلى غزو مصنوعات الأقطار العربية المجاورة خاصة المغربية والتونسية، ولم تستطيع البضاعة المحلية منافسة هذه المصنوعات وقد تحكم التونسيين والمغاربة في الأسواق المحلية الحدودية،وعدم وجود سياسة تجارية للدولة تضمن الحفاظ على الاقتصاد بسبب اختلاف الأسعار بين المدن والأرياف[3].

2 – الإنتاج الزراعي والحرفي في تونس :

شهدت تونس في بداية القرن الثامن عشر تولى الأسرة الحسينية الحكم،فظهر جهاز سياسي وإداري أكثر ارتباطا بالمنطقة أدي إلى استقرار سياسي،فمنح للحكام تونس نوع من الاهتمام بالواقع الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة،مما أنعش الواقع الاقتصادي وسمح بتشجيع السكان بالارتباط بالأرض لتوفير محاصيل فلاحيه،تكون ممول للجند والحصول على مداخيل مالية عن طريق تصدير الفائض نحو الخارج[4].

[1]– شويتام ارزقي:المرجع السابق،ص229,

[2]– صالح عباد: المرجع السابق،ص337.

[3]– عبد المنعم الجميعي: المرجع السابق،ص29.

[4]– محفوظ سعيداني:المرجع السابق،ص146.

كانت تونس تعتمد على الزراعة أكثر من غيرها من الإيالات الأخرى،وخاصة أن طبيعتها المناخية وتربتها الصالحة للزراعة قد ساعدها على ذلك،وقد ارتبطت الزراعة في تونس بطبيعة ملكية الأرض وتقسيمها،فهناك الأراضي الخصبة المحيطة بالمدن،والأراضي التي تصادر من القبائل وتمنح لكبار الموظفين،والأراضي التابعة لقبائل معينة تمارس فيها نشاطها الزراعي والرعوي[1] .

أ – الإنتاج الزراعي في تونس:

لقد أنتج الفلاح التونسي القمح والشعير والذرى باعتبارها من المزروعات التي تشكل الغذاء الأساسي للأغلبية وخاصة المناطق الريفية بالوسط والجنوب،ويزرع القمح بصفة خاصة في المناطق الشمالية حيث تتوفر الأمطار إلى جانب الشعير والبقول،وكان يصل مردود الحبوب في الهكتار الواحد إلى مابين 30 و40 قنطار،فكان الإنتاج فائضا عن نسبة السكان[2].

أما فيما يخص الخضر والفواكه،كانت تنتشر بشكل كبير في جزيرة جربةالتي كانت تنتج مختلف الفواكه كالزيتون والعنب والرمان والتين واللوز،والزيتون الذي كان يباع داخل الجزيرة وخارجها،والذي يوجد به عدة أنواع في تونس،ويستخرج منه زيت الزيتون، وأجوده يوجد بقفصة[3].

ب – الإنتاج الحرفي في تونس :

لقد حافظت تونس في هذه الفترة على نفس النهج الذي ورثته من قبل، فتميز الإنتاج الصناعي بوفرته ونوعيته ،وهذا بفضل مساهمة الظروف الداخلية والخارجية في خلق نهضة تنموية داخل ميدان الحرفي والمهني .

ولتدعيم الحياة المهنية فان البايات التونسيون عمدوا إلى بناع مراكز لقيام هذه الحرف وعلى رأسها الأسواق ، فلقد قام الباي محمد بناء ثلاث أسواق لصناعة الشاشية [4]، وحرص حمودة باشا على تشجيع الحرف والاهتمام بها حتى أصبحت تحتل جانبا بارزا في سياسته الاقتصادية[1].

[1]- عبد المنعم الجميعي: المرجع السابق،ص64.

[2]- محفوظ سعيداني: المرجع السابق،ص31.

[3]- نفسه،ص151.

[4]- ابن أبي الضياف: المصدر السابق،ج1،ص77.

ولقد امتازت تونس بالعديد من الصناعات ومن أشهرها صناعة الشاشية،التي اهتم بها حمودة باشا بشكل كبير،وللحفاظ عليها قام معاهدة صلح مع اسبانيا لتامين الصوف الممتاز لها،واحدث إدارة مكلفة بضبط شؤون صناعة الشواشي وبيعها في الداخل والخارج[2].

أما فيما يخص الصناعة النسيجية فقد ارتبطت بالمواد الأولية وعلى رأسها الصوف الذي يتوفر بكميات كبيرة،وبالتالي انتشرت المعامل الخاصة بالنسيج بأغلب أحياء تونس العاصمة ونشطت مراكز عديدة منها مركز جريدة جربة التي كانت منتوجاتها تفوق منتوجات الجريد[3].

كما أن صناعة الأسلحة كانت متنوعة منها صناعة البارود،حيث وجد بالعاصمة التونسية مصنع له،لكنه لايلبي حاجيات تونس،مما أدي بحمودة باشا بإقامة مصنع جديد سنة 1787م، وانشأ كذلك معامل لصناعة المدافع وقذائفها[4].

المبحث الثاني :طبيعة العلاقات التجارية.

وجد بين الايالتين نوعان من التجارة الخارجية،التجارة عن طريق البحر والتجارة عن طريق القوافل ووجدت رقابة شديدة على الشريط الحدودي خاصة على أصحاب القوافل المتنقلة، بحيث لن يتم العبور حتى تدفع الرسوم الجمروكية،أما في الموانئ فلن يسمح للمركب بالإبحار حتى تراقب صلاحية السلع المستوردة[5].

فان طبيعة العلاقات التجارية بين الجزائر وتونس كانت أكثر متانة من غيرها وذلك نتيجة التقارب الاقتصادي بين البلدين وقرب المسافة بينهما،فادى هذا إلى تنوع التبادل التجاري وازدهاره،وهذا ما سنبرزه في طبيعة المبادلات التجارية .

[1]- راشد الإمام: سياسة حمودة باشا،ص169.

[2]- راشد الإمام: المرجع السابق،ص272.

[3]- محفوظ سعيداني: المرجع السابق،ص212.

[4]- كمال مايدي:المرجع السابق،ص79.

[5]- صورية حصام: المرجع السابق،ص140.

1 – صادرات الجزائر إلى تونس :

كانت صادرات الجزائر إلى تونس كثيرة ومتنوعة ،وكانت مرتبطة بالأسواق التي تخص أهم مدن الشرق الجزائري والتي يصنفها محمد العربي الزبيري على الشكل التالي :

أ – قسنطينة:

تصدر للعاصمة تونس: الصوف والجلود المدبوغة،التمور الممتازة، الشواشي العادية،ريش النعام.

ب –الوادي :

تصدر لنفطة: التبغ والتمور.

ج – توقرت:

تصدر لنفطة وعدامس: الأقمشة الصوفية العادية، التمور،المظلات،المواد العطرية،الحبوب، الزيوت .

د– ورقلة :

تصدرلغدامس:الأقمشة الحريرية والقطنية،التمور،الحبوب،الزيوت،الأسلحة،وأنواع من العملة[1].

2 – واردات الجزائر من تونس:

وهي الأخرى تصنف حسب الأسواق وتشمل:

أ– قسنطينة:

تستورد من تونس:المصنوعات الأوروبية،العطور،التوابل،القهوة،الأقمشة القطنية والحريرية.

[1] – الزبيري:المرجع السابق،ص159.

ب – الوادي :

تستورد من نفطة: مواد البازازة،المواد العطرية،الأقمشة الحريرية،الأسلحة، الكبريت.

ج – تقرت :

تستورد من نفطة وغدامس: الأقمشة القطنية،العطريات والمصنوعات الأوربية،التبر،العبيد، جثث النعام،البخور السوداني.

د –ورقلة :

تستورد من غدامس: التبر، العبيد،العاج،البخور السوداني،وكثير من المنتوجات الإفريقية[1].

3 –العملة والمكاييل والاوزان المتبادلة بين الايالتين :

أ – العملة :

فمن بين العملة المتبادلة بين الايالتين نذكر: الدرهم الناصري ثم النصري الحيدري وقد عرف بهذه التسمية نسبة الى حيدر باشا الحاكم العثماني للقيروان سنة 1574،وتداول أيضا الريال التونسي الفضي الذي أزال الدرهم الناصري والحيدري من سوق التبادل النقدي،وأصبح هو الرائج بالجزائر الشرقية خاصة مند القرن السابع عشر ،وقد ظل مقتبس من الريال الاسباني ما يقارب القرن،إلا أن تم سك ربع ريال سنة 1725م،في عهد الداي حسين[2].

ب– المكاييل والأوزان:

وجدت العديد من المكاييل والأوزان المستعملة في الإيالتين نذكرمنها:

1–الرطل:

هذا المعيار الذي تغلب في أسواق الإيالت الثلاثة الجزائرو تونس وطرابلس،كما اشتهرت به أيضا

[1]– الزبيري:المرجع السابق،ص160.

[2]- صورية حصام:المرجع السابق،ص156.

مصر في القرن التاسع عشر،ويعود أصل الكلمة إلى اللغة الإيطالية المالطية أي الرطولو والمقسم إلي ثلاث انواع وهي:

أ – الرطل العطاري :

يقصدبه المكيال المستعمل عند العطارينوهويعادل506غرام،ومن المواد التي كانت تستعمل به الأحجارالكريمة،الشاي ،العطرات المختلفةكماكان يستعمل لوزن مختلف المعادن مثل:الحديد،النحاس،الذهب،الفضة،وغيرها من المعادن.

ب– الرطل السوقي:

اسمه مشتق من كلمة سوق،يعادل568غرام،استعمل في وزن اللحوم،الزيوت،الصابون،العسل ومختلف الفواكه الجافة.

ج– الرطل الخضري:

يعادل639غرامو453 غرام للوزن الفرنسي،به 20 أوقية،استخدم لوزن جميع أنواع الخضروات والفواكه الطازجة[1].

القنطار :فنجد فيه ثلاث أنواع :

النوع الأول: يساوي 100رطل،ويستخدم لوزن كل السلع باستثناء الحديد،القطن،الخام، الصوف.

النوع الثاني :يساوي110رطل لوزن الصوف،القطن .

النوع الثالث :يساوي150رطل، يستخدم لوزن الحديد،القطن، المغزول[2].

[1] – صورية حصام :المرجع السابق، ص157.

[2] – مليكة الشيخ: المرجع السابق، ص189.

المبحث الثالث :الطرق التجارية والقوافل والأسواق.

وجدت العديد من المكاييل والاوزان المستعملة في الإيالتين نذكرمنها:

1 – الطرق التجارية :

هناك طرق تجارية عامة تربط بين الجزائر وتونس وفاس،وأخرى رئيسية تخص الإيالتين.

أ – الطرق العامة:

تحدث الزبيري في كتابه التجارة الخارجية في الشرق الجزائري عن الطرق التجارية بين الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، وقسمها إلى أربع طرق وهي:

أ – الطريق العرضاني الشمالي :

يربط تونس بفاس مرورا بمدينة الكاف وقسنطينة،وسطيف،وحمزة، والجزائر، ووهران، وتلمسان.

ب – الطريق العرضاني الاوسط:

يربط مدينة قفصة بمدينة فكيك مرورا بمدينة بسكرة، والاغواط والبيض وسيدي الشيخ.

ج – الطريق القطري الشرقي :

يربط وادي ميزاب بتونس مرورا بمدينة الاغواط، وبوسعادة وقسنطينة والكاف.

د – الطريق العرضاني الجنوبي :

ينطلق من تافليلات إلى نفطة مرورا بوحات الجزائر[1] .

ولقد كانت الجزائر تشكو من نقص في الطرق والمرافق الضرورية لإيواء المسافرين،الأمر الذي يمثل عائقا في تنظيم التبادل التجاري على المستوي الخارجي،كما أن عدم توزيعها يجعل من غير المفيد نقل

[1] – محمد العربي الزبيري: المرجع السابق،ص67.

السلع لمسفات بعيدة وبيعها بالأسعار السائدة آنذاك،وان لا يتحمل التاجر أناء نقلها، واعتمدت التجارة على أساس المقايضة في اغلب الأحيان[1].

ب – الطرق التجارية الرئسية بين الايالتين:

أ – طريق تونس:

يبدأ من مدينة قسنطينة ويسير نحو الجنوب ليمر بالخروب ثم يرتفع نحو الشمال الشرقي أين تتواجد عدة قري مثل:مجاز عمر وسوق هراس،ثم تصل إلى مدينة الكاف ومنه إلى مدينة تونس، ولقطعه تدوم مدته خمسة وعشرين يوم[2].

ب – طريق قفصة ونفقة :

يبدأ من مدينة الوادي ثم يتجه شمالا نحو محطة قمار ثم يسير نحو الشمال الشرقي إلى قرية فرن، وبعد ذلك يميل إلى الشرق ليقف في مدينة قفصة،ويتطلب خمسة أيام لقطعه[3].

ج – طريق نفطة وغدامس:

ينطلق من تقرت ثم يتجه نحو الشمال للوصول إلى محطة الفيض أين يلتحق بتجار بسكرة بالقافلة ثم يتغير مساره نحو الجنوب الشرقي ليصل الى كونيين ومنه يأخذ اتجاهين أساسيين احدهما نحو مدينة نفطة مباشرة والثاني اتجاه الجنوب إلى سوق غدامس مرورا بمحطة البير الجديد[4].

د – طريق غدامس :

الذي يخرج من ورقلة ويتجه مباشرة اتجاه الشرق إلى أن يصل مدينة غدامس ،طريق صعب للغاية نظرا للكثبان الرملية التي تواجدت به ،كان يقطع في مدة عشرة أيام[5].

[1]– مؤيد محمد حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان: المرجع السابق،ص224.

[2]– صورية حصام: المرجع السابق،ص157.

[3]– الزبيري:المرجع السابق، ص155.

[4]– نفسه،ص156.

[5]– عبد المنعم الجميع: المرجع السابق،ص64.

2- القوافل :

تعتبر القوافل من اقدم واشهر الوسائل في نقل البضائع لمسفات طويلة ،حيث ساهمة في تنمية العلاقات وازدهارها ،وتوطدت عبرها صلات ثقافية واجتماعية بين دول المغرب وحتى المشرق، وخاصة قوافل الحج. فكانت في تونس والجزائر التجارة الصحراوية تتكفل بها قبائل مختلفة ،فقبيلة شميا في الغرب تحمل البضائع نحو الجنوب إلى تيميمون،وفي تونس الاروغما يحملون المنتجات في قابس ويوجهونها نحوغدامس ومنها إلى تمبوكتو ،والطوارق تواصل مسيرتها قبائل المغرب[1].

وفيما يخص قافلة قسنطينة ،فليست سوي فرع من القافلة الغدامسية التي تخدم تونس ،ووصولها إلى العاصمة التونسية لا يثير حركة تجارية كبيرة ،دوريتها ضعيفة رحلة ،أورحلتين في السنة ،ماذا ينتظرون منها ؟،الذهب قليل جدا ،القافلة تأتي برش النعام،وصمغ السودان وخصوصا العبيد،وكانت القافلة القسنطنية تذهب شهريا إلى مدينة تونس بحوالي 200 الى 300بغل [2].

كما امتلك صالح باي عدة حونيت وكانت له وكالة بباب المنارة في تونس قصد التجارة ،وبالتالي غدت قسنطينة ملتقى القوافل التجارية الكبري القادمة من طرابلس،غدامس ،تونس،بسكرة ،الجزائر،المغرب الأقصى[3].

3 – الأسواق التجارية بين الايالتين.

يعتبر الشرق الجزائري اقرب الأسواق لتونس ، ومن المراكز التي كانت تنطلق منهاالقوافل، مركز قسنطينة،الوادي،وتقرت، وورقلة ، والاغواطوبسكرة،وجدت أسواق مشهورة في الصحراء الجزائرية مثل:أسواق منطقة الاغواط منه :سوق سرين وسوق الخير نسبة إلى واد الخير الموجود بالمنطقة [4].

ومدينة الوادي هي عاصمة منطقة سوف ،واكبر مدنها،عرفت في ذلك الحين ،بأكبر سوق يؤمها التجار من مختلف الواحات ،وتشمل على أكثر من ثلاثمائة حانوت ،أهم مواردها من التمور التي

[1]- لويست فالنسي : **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر (1790 – 1830م)**،ترجمة الياس مرقص ،دار الحقيقة،بيروت ،لبنان ،ط1،1970م ،ص70.

[2]- لويست فالنسي: المرجع السابق،ص71.

[3]- العنتري :**تاريخ قسنطينة**، المرجع السابق ، ص81.

[4]- صورية حصام : المرجع السابق،ص148.

تنتج من أنواعها الجيدة هائلة ،والتبغ بنوعيه ،الرطب والقوي ،وكذالك صناعة المظلات من سعف النخيل ،والأقمشة الصوفية العادية ،أما سكانها فقد اشتهروا بالمهارة في التجارة وفي تسيير القوافل عبر كثبان الرمل المتنقلة.[1]

ومما سبق نستنتج:

– أن الإنتاج الزراعي والصناعي في الجزائر وتونس كان متوفر ومتنوع ،وذلك من خلال الاهتمام المشترك بين السلطة والأهالي .

– وبما أن المجتمع كان فلاحيا من الدرجة الأولى ساهم مساهمة كبيرة في توفير الإنتاج المحلي الزراعي والصناعي ، دون أن ننسى الإصلاحات التي قام بها الحكام في هذا الميدان مثل: اصلاحات صالح باي في قسنطينة ،وحمودة باشا في تونس .

– أما عن طبيعة العلاقات التجارية بين الجزائر وتونس كانت أكثر متانة من غيرها ، وذلك نتيجة للتقارب الاقتصادي وقرب المسافة،ولقد تنوعت صادرات الجزائر إلى تونس حسب المنتوج والأسواق ، فمن أهم صادراتها : الصوف والجلود والتمور ، وريش النعام و الحبوب والزيوت ، أما عن الواردات فكانت أكثر تنوعا لأن الجزائر كانت تستورد المنتوجات المحلية التونسية والأوروبية ، ومن بينها العطور والتوابل والقهوة ، والمواد العصرية .

– فكانت طبيعة العلاقات التجارية تتم عبر الطرق التجارية ، والتي شملت أربع طرق رئيسية وهي: تونس،قفصة ،نفطة ،غدامس ،فكانت هذه الطرق كلها مرتبطة بالشرق الجزائري .

– كما كان الشرق الجزائري مرتبط بالتجارة مباشرة مع المدن الكبرى والأسواق التجارية التونسية ، فساهمت العلاقات التجارية في التلاحم بين الشعبين رغم وجود الفتن والحروب التي أثرت على طبيعة العلاقات السياسي .

[1]– محمد العربي الزوبيري :المرجع السابق ،ص159.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة لموضوع"العلاقات السياسية والاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 18م، توصلنا إلى بعض الملاحظات والنتائج يمكن حصرها في مايلي:

1-إن دراستناللوضع السياسي والاقتصادي في ا لإيالتين خلال القرن الثامن عشر يساعدنا بشكل كبير على معرفة أوضاع الإيالتين التي ساهمت في تطور العلاقات السياسية والاقتصادية بينهما .

2- فالتطورات السياسية التي حدثت فيها كانت حافزا في تداخل العلاقات وتطورها ، فانفصال الجزائر عن الدولة العثمانية سنة 1711م ، جعل منها دولة مستقلة استقلال تام ولها أوامرها ونواهيها ، بينما في تونس تأسيس الأسرة الحسينية كان أكبر تحدي وإنجاز قام به مؤسسها حسين بن علي ، حيث جعل الحكم وراثي دون تدخل الدولة العثمانية ، وبالتالي حققت كل من تونس والجزائر نوعا من الاستغلال .

3- إن هذا الاستقلال لم يأتي أكله بسب ظهور الفئة الداخلية والتدخل الأجنبي ، فتونس تعرضت لأخطر فتنة عرفت بالفتنة الباشية التي ساهمت في تمزيق وحدة تونس وإضعاف قوتها العسكرية ، أما الجزائر فلم تسلم من خطر الوجود الاسباني الذي ظل يهددها حتى سنة 1792م.

4- وبالرغم من أن الوضع السياسي في كلا الإيالتين كان سيئ في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، إلا انه في النصف الثاني شهد استقرار نسبي وتطور ملحوظ بفضل الحكام .فبتولي حمودة باشا الحكم في تونس سنة 1782م ، تغير الوضع السياسي بسبب الإصلاحات التي قاما بها على المستوى الداخلي والخارجي ،فهذه الإصلاحات أعادة لتونس مكانتها الدولية ، وجعلتها في تنافس مع الجزائر وحتى التفوق عليها في بعض الأحيان .

5- أما الجزائر فلقد حققت أعظم مشروع هو تحرير وهران من الوجود الاسباني الذي دام قرابة ثلاثة قرون وهذا بفضل جهود الباي محمد الكبير ، والداي عثمان ، وفي المقابل ازدهرت قسنطينة في عهد صالح باي .

6- وفيما يخص الوضع الاقتصادي، كان هناك اهتمام محلي به وخاصة في الجزائر بسبب قلة اهتمام الديات ، إلا أن تونس كان لها اهتمام كبير بالاقتصاد المحلي وخاصة في بداية القرن الثامن عشر في عهد حسين بن على، وفي أخره في عهد حمودة باشا الذي أولى اهتمام كبير بهذا المجال .

7- تأثر الوضع الاقتصاد بسيطرة العنصر الأجنبي ، فكلاالإايالتين منحتا لفرنسا الامتيازات التجارية لصيد المرجان ولذالك كانت معاملتهما التجارية بشكل كبير مع فرنسا،وسيطرة اليهود علىالتجارة.

8- وفينا يخص العلاقات السياسية بين الجزائروتونس مع مطلع القرن الثامن عشر امتازت بالتوتر بسبب حملة مراد باي على قسنطينة سنة 1700 م التي باءت بالفشل، مما تسببت في مقتله على يد إبراهيم الشريف، وبعد تمرد إبراهيم الشريف تغيرت الكفة لصالح الجزائر، فقضت على تمرده في الحملة التي جهزتها سنة 1705م،إلاأنها لم تستفيد منها بسبب بروز حسين بن علي الذي قلب الكفة لصالحه.

9- وبعد تنصيب حسين بن علي على الكرسي اتسمت العلاقات بالسلم مابين(1706-1728)،لكنها لم تدم طويلا بسبب ظهور الفتنة الباشية التي كانت منبين الأسباب الرئيسة التي ساعدت الجزائر على التدخل في شؤون تونس .

10- ولقد كانت للفتنة الباشية انعكاسات كبيرة في توتر العلاقات ، ويتضح ذالك من خلال دعم الجزائر لعلي باشا سنة 1735م من أجل القضاء على عمه والاستغلال بالسلطة ، وبعد تحقيقه لمراده اجبر على التبعية للجزائر .

11- وفيما العلاقات السياسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر امتازت بالتوتر في الكثير من الأحيان بسبب ثورة يونس ، وتمرد علي باشا ، وصراع حمودة باشا مع باي قسنطينة ، و حملته ضد الجزائر سنة 1807م.

12- أما فيما يخص تمرد علي باشا ، فقد جن عليه بالموت ، حيث قتل على يد أتراك الجزائر سنة 1756م، وذلك أثناء الحملة التي جهزتها الجزائر لدعم أبناء الحسين لاسترجاع ملكهم ،فبقيت تونس خاضعة للجزائر حتى تولي حمودة باشا الحكم ، فشهدت هذه الفترة نوع من السلم .

13- لكن موازين القوى تغيرت بشكل كبير بعد تولي حمودة باشا الحكم سنة 1782م ، ليدخل في صراع مع صالح باي بسبب تمرد القبائل الحدودية ، فكانت نتائج الصراع لصالح الجزائر ، وعقب هذا دخلت الإيالتين مرحلة السلم حتى مطلع القرن التاسع عشر .

14- ومع اهتمام حمودة باشا بالشؤون الدخلية لتونس بالمجال السياسي والاقتصادي ، وجد الفرصة السانحة لوضع حد للعلاقات مع الجزائر وإنهاء التبعية ، وكان له ذلك بعد حملته على الجزائر سنة1807م التي انتصر فيها على الجزائر، فانعكس سلبا عليها وأثر على مكانتها على المستوى الداخلي و الخارجي ،حتى أنها أصبحت في تدهور مستمر بسبب الفتن الداخلية مثل : ثورة ابن الأحرش ،وتمرد التيجانية وضعف سيطرة الدايات ، وفي المقابل كذلك تزايد أطماع الدول الأوروبية ، وخاصة فرنسا التي بدأت تحضر وتخطط لاحتلال الجزائر إلى غاية 1830م.

15- وفيما يخص العلاقات الاقتصادية فإن الإنتاج الزراعي والصناعي في الجزائر وتونس كان متوفر ومتنوع ،وذلك من خلال الاهتمام المشترك بين السلطة و الأهالي ،وبما أن المجتمع كان فلاحيا من الدرجة الأولى ساهم مساهمة كبيرة في توفير الإنتاج المحلي الزراعي والصناعي ، دون أن ننسى الإصلاحات التي قام بها الحكام في هذا الميدان مثل: اصطلاحات صالح باي في قسنطينة، وحمودة باشا في تونس .

16- أما عن طبيعة العلاقات التجارية بين الجزائر وتونس كانت أكثر متانة من غيرها ،ة وذلك نتيجة للتقارب الاقتصادي وقرب المسافة ، ولقد تنوعت صادرات الجزائر إلى تونس حسب المنتوج و الأسواق، فمن أهم صادراتها : الصوف والجلود والتمور ، وريش النعام والحبوب والزيوت ، أما عن الواردات فكانت أكثر تنوعا لأن الجزائر كانت تستورد المنتوجات المحلية التونسية والأوروبية ، ومن بينها العطور ،التوابل ، القهوة ، والمواد العصرية .

17- كانت طبيعة العلاقات التجارية تتم عبر الطرق التجارية التي شملت أربع طرق رئيسية و هي :تونس،قفصة ،نفطة وغدامس ،فكانت هذه الطرق كلها مرتبطة بالشرق الجزائري .

– صورة رقم 01: نماذج من العملة الجزائرية والتونسية في العهد العثماني

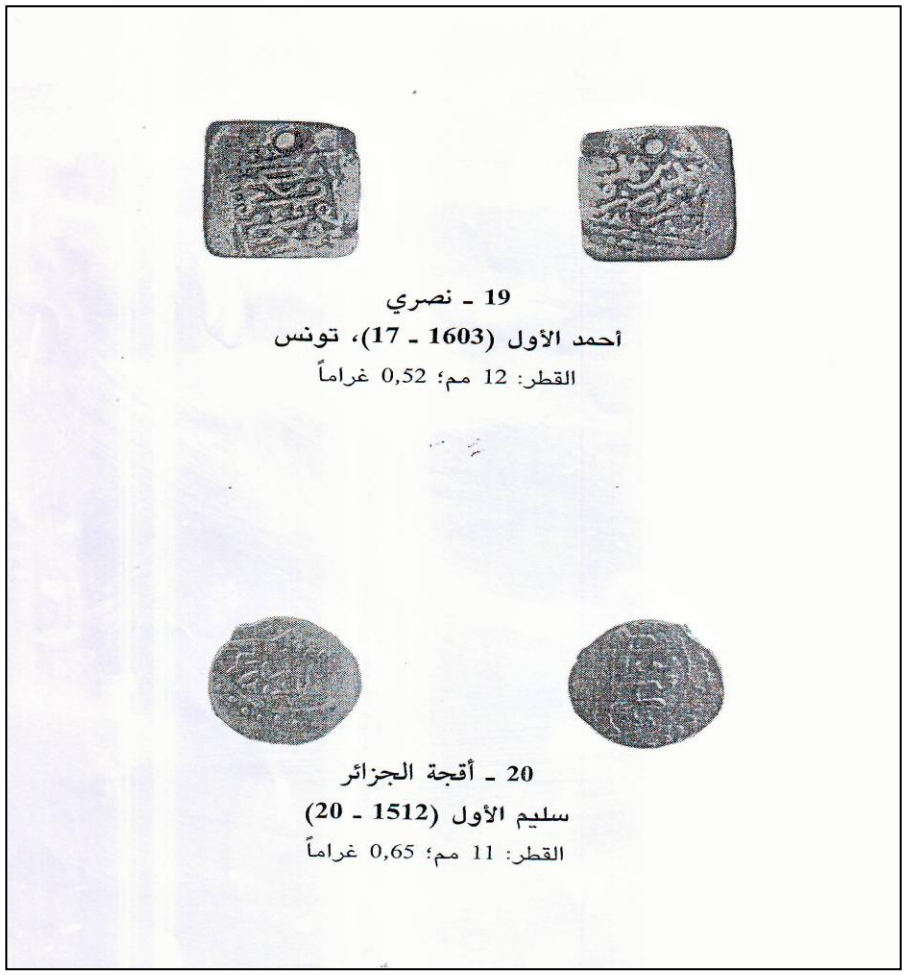

19 ـ نصري
أحمد الأول (1603 ـ 17)، تونس
القطر: 12 مم؛ 0,52 غراماً

20 ـ أقجة الجزائر
سليم الأول (1512 ـ 20)
القطر: 11 مم؛ 0,65 غراماً

شوكت باموك:**التاريخ المالي للدولة العثمانية**،تع،عبد اللطيف الحارس،دار الغرب الإسلامي ،ط1، 2005، ص 445 .

-صورة رقم 02 : نماذج من العملة الجزائرية في العهد العثماني

32 ـ ربع البودجو
سليم الثالث، 1214هـ (1799 ـ 1800)، الجزائر
القطر: 20 مم

33 ـ قرش الجزائر
محمود الثاني، 1237هـ (1822)
القطر: 40 مم؛ 19,95 غراماً

شوكت باموك:المرجع السابق، ص452.

– الخريطة رقم 01 :النشاط الصناعي في الجزائر

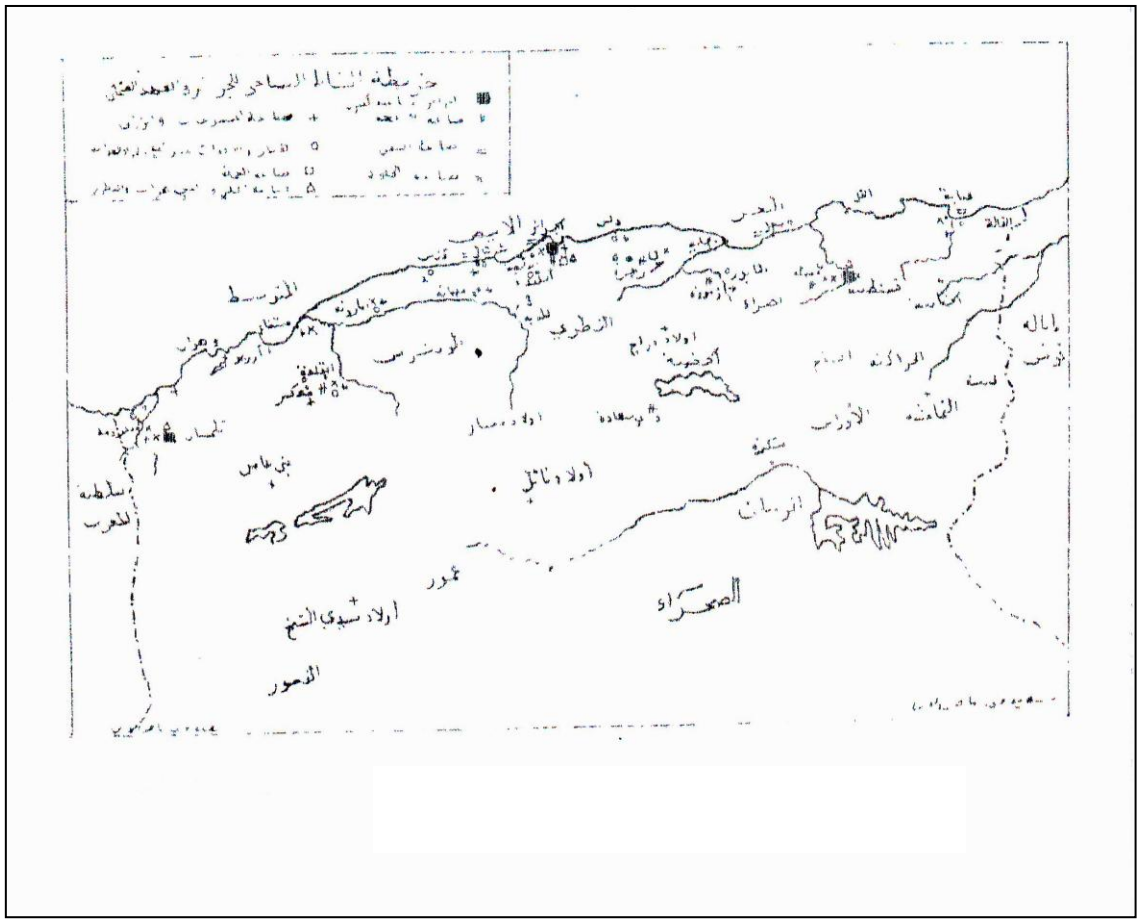

ناصر الدين سعيدوني :**تاريخ الجزائر في العهد العثماني و يايه ولايات المغرب العثماني (الجزائر ،تونس ،طرابلس الغرب**)،ط2 ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر ،2013، ص58

-الخريطة رقم 02 : أهم الطرق التجارية بين الإيالتين

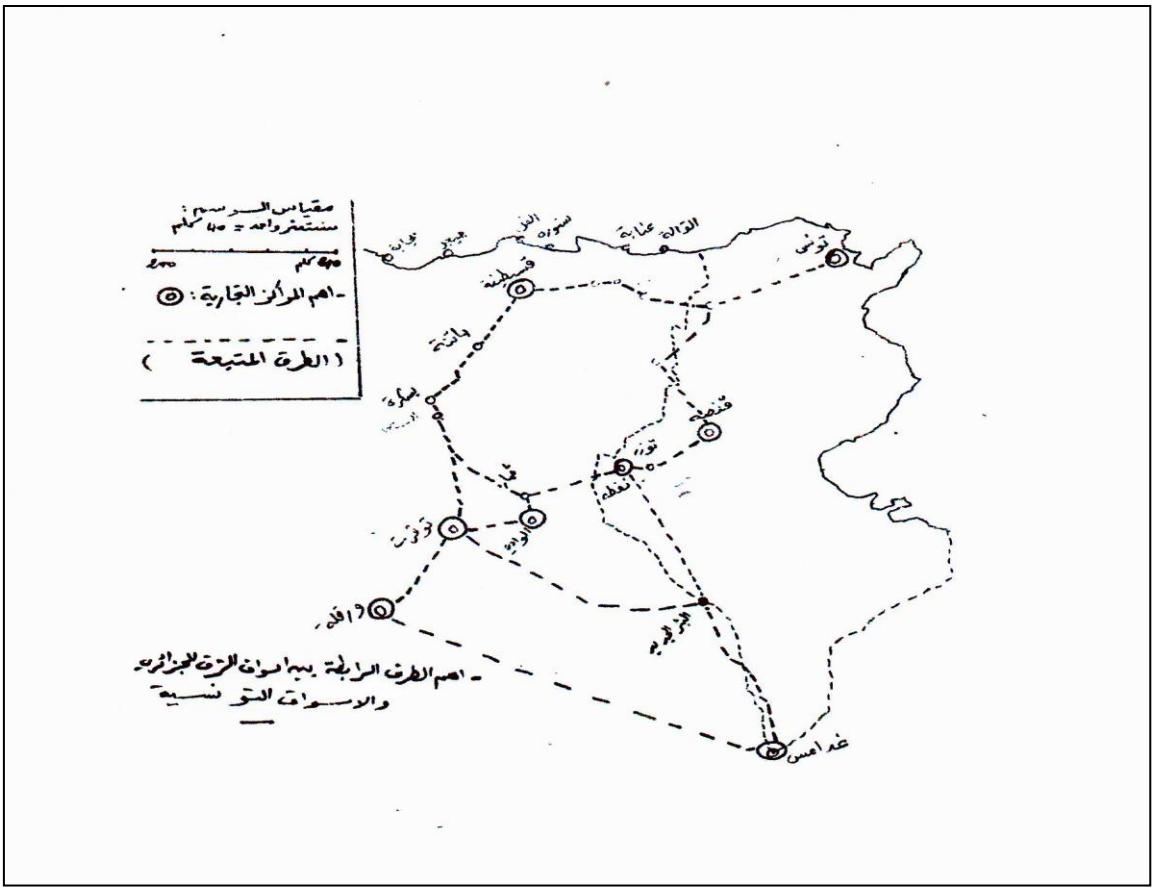

محمد العربي الزبيري :التجارة الخارجية في الشرق، ص156.

أهم الصادرات والواردات بين الإيالتين

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	المواد المستوردة
قسنطينة	تونس	الصوف ، الجلود المدبوغة ، التمور الممتازة ، الشواشي العادية ، ريش النعام	المصنوعات الأوربية ، العطور ، التوابل ، القهوة ، الأقمشة القطنية والحريرية .
الوادي	نفطة نفطة	التبغ ، الفوة والتمور	مواد البراوة ، المواد العطرية ، الأقمشة الحريرية ، الأسلحة ، الكبريت .
توقرت	غدامس	الأقمشة الصوفية العادية ، التمور والمظلات المواد العطرية ، التمور الحبوب ، الزيوت ، الأقمشة .	الأقمشة القطنية ، العطريات والمصنوعات الأوربية . التبر ، العبيد ، جثث النعام ، البخور السوداني .
ورقلة	غدامس	الأقمشة الحريرية والقطنية ، التمور ، الحبوب ، الزيوت ، الأسلحة وأنواع مسن العملة	التبر ، العبيد ، العاج البحور السوداني ، وكثير مسن المنتوجات الإفريقية .

١٥٩

محمد العربي الزبيري: نفس المرجع ، ص 157

الجدول رقم01 :ديات الجزائر ما بن (1698–1808م).

ديات الجزائر	فترة الحكم
حسين الشاوش	1698– 1700
باب حاجي مصطفي	1700 –1705
حسن خوجة	1705 –1707
محمد بكداش	1707– 1710
على شاوش	1710 –1718
محمد بن الحسين	171– 1724
محمد عبدي باشا	1724– 1732
إبراهيم باشا	1732 –1745
إبراهيم خوجة	1745–1748
على بوصبع	1748– 1754
محمد بن بكار	1754– 1766
محمد بن عثمان	1766 –1791
حسن باشا	1791– 1798
مصطفى باشا	1798– 1805
أحمد خوجة الخليل	1805– 1808

عبد الرحمان الجيلالي :تاريخ الجزائر العام،ص ص205-310.

جدول رقم 1:بايات تونس خلال القرن الثامن عشر.

بايات تونس	مدة الحكم
حسين بن على	**1740– 1705**
على باشا	**1756 –1740**
محمد باي	**1759 –1756**
على باي	**1782 –1759**
حمودة باشا	**1814 – 1782**

محمد الهادي الشريف :**تاريخ تونس** ،ص81 .

الجدول رقم 3: النماذج المذكورة من العملات التونسية وقراءة ما كتب عليها.

العملة	قراءةالكتابة الواردة في العلة	
	الوجه أ	الوجه ب
المحبوب	سلطانالبرين والبحرين اليلطان عيد الحميدخان عزنصره	ضرب في تونس1189هـ
الريال	سلطان البرين وخان البحرين السلطان محمود خان عز نصره	صرب في تونس سنة 1223
الخروبة	ساطان مصطفي خان	ضرب في تونس ستة 1171هـ
ناصري	السلطان احمد بن محمد خان	ضرب في تونس غير معروف
ربع ريال	سلطان البرين وخقان البحرين السلطان محمودخان عز نصره	ضرب في تونس سنة 1252هـ
الفلس	سلطان مصطفي	ضرب في تونس سنة 1175هـ
سوكان ببندقي	/	/

مليكة الشيخ: المرجع السابق،ص259.

جدول رقم 4: أوزان العملات الموجودة في أواخر العهد العثماني

العملة الذهبية							العملة الفضية							النحاسية				
أنواعها	أوزانها		قيمتها بالدينار الجزائري				أنواعها	أوزانها		قيمتها بالدينار الجزائري				أنواعها	أوزانها	قيمتها بالدينار الجزائري		
	مغ	غ	م	س	د		مغ	غ	م	س	د			–		م	س	د
سلطانقديم	400	3	82	59	9		782	19	37	72				الموزونة	–	74	2	0
سلطانجديد	187	3	80	89	8		77	10	36	88	1			الخروبة	–	87	3	0
نصف	596	1	90	44	4		530	2	11	47	0			الغرامسي	–	34	1	0
سلطاني	796	0	45	22	2		360	1	65	22	0			الزندي	–	26	0	0
ربع سلطاني							182	3	81	57	0			الصوردي	–	0	3	0

منور مريوش : **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة ، الأسعار ،المحاصيل)** ، دار القصبة ، الجزائر،ج1، 2009، ص36.

المصادر العربية:

1- ابن ميمون محمد الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الطبعة الشعبية للجيش،2007.

2- أبي عبد الله الشيخ الباجي المسعودي : **الخلاصة النقية في أمراء افريقية** ،طبع بمطبعة بيكار وشركته بنهج أنبال عدد4، تونس ، 1383هـ.

3- احمد ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ،8ج ، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ج3، تنفذ الدار العربية للكتاب، تونس، 2001م.

4- الأنصاري احمد بك النائب: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب** ،منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، ليبيا.

5- خوجة حسين: **ذيل بشائر أهل الإيمان** ،تحقيق وتقديم الطاهر المعموري،الدار العربية للكتاب،تونس،1975م.

6- خوجة حمدان بن عثمان : **المرأة** ،تقديم وتحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري،منشوراتanep،الجزائر،2006م.

7- الزهار الحاج احمد الشريف: **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر** ، تحقيق،احمد توفيق المدني،دار البصائر،الجزائر،2009م.

8- شاوش ابن المفتي حسن بن رجب: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ بشاوات الجزائر وعلمائها** جمعها واعتنى بها فارس كعوان،بيت الحكمة ، الجزائر،2008م.

9- العنتري صالح:**مجاعات قسنطينة،** تحقيق وتقديم رابح بونار،الشركة الوطنيةللنشروالتوزيع، الجزائر، 1974م.

10- العنتري محمد الصالح: **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانهما،أو تاريخ قسنطينة**،تحقيق، يحي بوعزيز، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر،2009م.

11- مخلوف محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، ج2، المطبعة السلفية ، القاهرة، مصر،1349هـ .

12- المزاري الاغا بن عودة: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر** ، تحقيق، يحي بوعزيز،ج 1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م.

13- مقديش محمد: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** ، تح،علي الزاوي ومحمد محفوظ ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،1988م.

14- الوزير الحاج حمودة بن محمد بن عبد العزيز: **الكتاب الباشي**، تحقيق، محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس،1970م.

15- الوزير السراج محمد بن محمد الاندلسي: **الحلل السندوسية في الأخبار التونسية** ،تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، مج 2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م .

المصادر المعربة:

1- شالر وليام: **مذكرة وليام شارل قنصل أمريكا بالجزائر(1816- 1824م)**، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر، 1982م.

2-كاثيكارت : **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في الغرب** ، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982م.

3- روسي أتوري: **ليبيا منذ الفتح العربي إلى 1911م**، تر وت،خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، مصر، ط2،1991م .

4- شار فيرو: **الحوليات الليبية**، ترجمة وتحقيق، محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط 3، 1994م.

المراجع:

1- الأرقش درنة واخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر** ، مركز النشر الجامعي ، ميدياكوم، تونس، 2003م.

2- الإمام راشد: **سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814م)**، منشورات الجامعة التونسية ، 1980م.

3- بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادسعشر الميلادي**،ج1، دار الأمل، الجزائر،2006م.

4- بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، دار البصائر، ط خ، الجزائر،2009 م .

5- الجميعي عبد المنعم: **الدولة العثمانية والمغرب العربي** ،دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر، 2006م.

6- الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام** ، ج3 ، دار الأمة، الجزائر،2014م .

7- دراجي محمد:**الدخولالعثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512– 1543م)**، تصدير ناصر الدين سعيدوني، شركة الأصالة،الجزائر، ط1،2002م.

8- روسو الفونص : **الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر** ، تقديم محمد عبد الكريم الوافي، منشورات قار يونس، بنغازي، ليبيا،**1989م** .

9- الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1992م.

10- سعيد وني نصر الدين: **ورقات جزائرية** ، أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار البصائر ، الجزائر ، ط2 ،2008م.

11- سعيدوني ناصر الدين: **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر، الجزائر، ط 3،2009م.

12- سعيدوني ناصر الدين: **الجزائر منطلقات وأفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيمتاريخية**،البصائر،الجزائر،2013.

13- سعيدوني ناصر الدين: **دراسات أندلسية، مظاهر التأثير لإبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**،البصائر،الجزائر،ط3،2001م.

14- سعيدوني نصر الدين: **النظام المالي للجزائر خلال العهد العثماني (1792– 1830م)** دار البصائر، الجزائر،ط1،2012.

15- الشلف احمد زكريا: **العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (1516 – 1916م)**،مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر،ط1، 2002 م.

16- شوكت باموك: التاريخ المالي للدولة العثمانية، تح، عبد اللطيف حارس،المدار الاسلامي بيروت،لبنان، ط2005،1 .

17- عباد صالح: **الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830م)**، دار هومة، الجزائر ، ط1،2007م.

18- عمورة عمار:**موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة،الجزائر ،ط1،2002.

19- فكاير عبد القادر: **الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وأثاره (1505– 1792م)**،دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومة، الجزائر،2012م.

20- قنان جمال: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث** ، المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر، 198،م.

21- المدني أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492–1792م)**، دار البصائر، الجزائر، ط3 ،2009م .

22- الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،بيروت، لبنان،1964م.

المراجع المترجمة:

1-ألتر سامح عزيز: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ، ج1، تر، محمود علي عامر، دار النهضة العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،1989 م.

2- أندري جوليان شارل : تاريخ افريقية الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1827م، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1978م .

4- سبنسر وليام: **الجزائر في عهد رياس البحر** ، ترجمة، عبد القادر زبادية، ش و ن ت، الحزائر، 1980م.

5- الشريف محمد الهادي : **تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ الى الاستقلال** ،تعريب محمد الشاوش،دار سارس للنشر، تونس،ط 3، 1993.

6- فالنسي لويست: **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر (1790 – 1830م)**،تر، الياس مرقص،دار الحقيقة، بيروت، لبنان،ط1، 1970م.

7- محرز عفرون: **الروتشيد وال بكري وتاليران الملفات السياسية السرية في تاريخ الشعوب** ، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار هومة، الجزائر،2011م.

8- وولف جون ب: **الجزائر واربا** ، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.

المراجع الأجنبية:

Rouard de card : **Traités de la France avec les pays de –1 l'Afrique du nord**, pedone, paris1906.

Phonse ROSSEAU: les arrabe Tunisiennes,deuxienons edition2bouslama,TUNIS, S.D.P.

الرسائل الجامعية:

1-بن الموفق محمد: **العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر واسبانيا (1786-1830م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، السنة الجامعية (2010-2011م).

2- بن صحراوي كمال: **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر قي أواخر عهد الديات** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي،معسكر،السنة الجامعية (2007- 2008م).

3- بوحفص تجانة: **الحملات العسكرية لدول غرب اروبا المتوسيطية على الجزائر** (1732 – 1830م)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،المركز الجامعي بغرداية،السنة الجامعية (2010 – 2011) .

4- بولحبال رياض: **أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار، جامعة منتوري قسنطينة،السنة الجامعية (2009- 2010م).

5- حصام صورية : **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران،السنة الجامعية (2012- 2013م).

6- سعيداني محفوظ: **الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغربية في العهد العثماني من مطلع القرن 18م إلى 1830م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، السنة الجامعية (2011- 2012م).

7- شاطو محمد: **نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،جامعة الجزائر،السنة الجامعية (2005-2006م).

8- شويتام ارزقي: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519-1830م)**،رسالة دكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،الوسم الجامعي (2005-2006م).

9- الشيخ مليكه: **العلاقات السياسية بين تونس وفرنسا خلال القرن 18م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، السنة الجامعية (2011 - 2012م).

10- صنديد ياسين: **الأسرة الحسينية و دورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس و فرنسا (1705-1782)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية،السنة الجامعية (2012 – 2013).

11- مايدي كمال: **علاقات تونس مع دول غرب أوروبا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا(1782 - 1814م)**مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي غرداية ،السنة الجامعية (2011-2012م).

12- محمد عطية : **الصراع بين الايالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية (1587 - 1830م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، السنة الجامعية (2014 - 2015م).

13- نواصر عبد الرحمان: **مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الديات**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،المركز الجامعي بغرداية،الموسم الجامعي(2010-2011م).

المجلات:

1- شارف رقية: **تشكيل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية، الفترة الحديثة،** مجلة الدراسات التاريخية ، العدد الثالث عشر، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ،2011م.

2- المشهدانيمؤيد محمد حمد وسلوان رشيد رمضان: **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني** ،مجلة الدرسات التاريخية والحضارية، ع16،نيسان ، 2013م..

فهرس الأماكن و البلدان:

اسبانيا :12، 37، 39.

اسطنبول:10، 12.

تونس:10، 17، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 33، 38، 43، 47، 51، 54، 56، 57، 61، 62، 63، 66، 73، 77.

جبل وسلات:20، 46.

الجزائر :10، 11، 12، 13، 14، 15، 17، 18، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 33، 37، 41، 48، 49، 51، 56، 66، 73، 75.

حلق الواد: 44.

الدولة العثمانية:10، 11، 41.

الرأس الأسود:22، 44،

طرابلس الغرب:18، 28، 29، 32، 33.

فرنسا:16، 17، 22، 44، 45.

القسطنطينية:39، 40، 48، 55.

قسنطينة:14، 26،17، 27، 28، 41، 42، 48، 63، 65، 67، 75، 80.

القيروان:19، 20، 22، 44، 49، 50.

الكاف:34، 35، 36، 48.، 59، 66.

المرسى الكبير:13.

المغرب الأقصى :27.

واد مجردة: 49.

وهران:11، 12، 49.

فهرس الأعلام:

ابراهيم الشريف:17، 18، 27، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 51.

ابراهيم باشا:10، 48، 49، 54.

ابراهيم باي: 34.

ابراهيم خوجة :26.

الامير أورلي:12.

الباي بوكمية 48، 50.

الباي محمد:13، 21.

حسن باشا :12.

حسن باشا الشاوش:28، 29.

حسن بن علي :18، 19، 20، 24، 27، 35، 43، 44، 45، 48، 49، 50، 56، 57.

حسن خوجة :34.

حمودة باشا :20، 23،21، 59، 60، 61، 63، 64، 65، 66، 77.

خوجة الأصفر :18.

خير الدين ببروس:16.

الداي الحاج مصطفى:29، 30، 34، 35، 36.

الدوق ديمونتبار:11.

صالح باي:17، 61، 62، 63، 64، 65.

العلج علي:26.

علي باشا :19، 20، 27، 39، 40، 41، 46، 50، 54، 56.

محمد عثمان:12.

مراد باي:26، 27، 28، 30، 31، 32 ، 42.

مصطفى الانجليز: 66، 67.

مصطفى بوشلاغم:11.

المولى اسماعيل:27، 30.

يونس باي:54، 55، 56.

الشكر و عرفان

اهداء

مقدمة.....أ

الفصل الأول : لمحة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية بالإيالتين خلال القرن 18م 09

المبحث الأول : الأوضاع السياسية في الجزائر.....09

1 – علاقة الجزائر بالدولة العثمانية سنة1711م.....09

2- تحرير وهران 1792م.....10

3- نظام حكم الدايات.....12

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية في الجزائر. 13

1- سيطرة اليهود على الاقتصاد الجزائري.....13

2- الامتيازات الفرنسية وتأثيرها على الاقتصاد الجزائري.....14

3- الإصلاحات الاقتصادية 15

المبحث الثالث : الأوضاع السياسية في تونس.....16

1- تأسيس الأسرة الحسينية 1705م.....16

2- الفتنة الباشية (17428م-1740م).....18

3- إصلاحات حمودة باشا السياسية.....19

المبحث الرابع : الأوضاع الاقتصادية في تونس 19

1- دور الأسرة الحسينية في ازدهار الاقتصاد المحلي 20

2- الامتيازات التجارية الفرنسية في تونس 20

3- سياسة حمودة باشا الاقتصادية.....21

الفصل الثاني: العلاقات السياسية بين السلم و التوتر1700-1735.....24

المبحث الأول : توتر العلاقات الجزائرية التونسية1700-1705.....26

1- التحالف التونسي المغربي على الجزائر 1701م.....26

2- الصراع أثناء فترة إبراهيم الشريف(1702-1705م).....29

3- أثر قيام النظام الحسيني على العلاقات.....34

المبحث الثاني : عودة السلم 1706م-1728م..... 35

1- الجزائر 35

2- تونس.....40

المبحث الثالث: الفتنة الباشية وتداعياتها على العلاقات 42

1- تأثير الفتنة الباشية على الوضع السياسي في تونس.....43

2- التحالف الجزائري مع علي باشا.....44

الفصل الثالث: انقلاب الأدوار على العلاقات (1740م-1814م).....48

المبحث الأول : ثورة يونس باي و تأثيرها على الجزائر.....49

1 – ثورة يونس باي 49

2- تأثيرها على الجزائر.....50

المبحث الثاني:تمرد علي باشا على الجزائر 51

1- تمرد علي باشا.....51

2- أبناء الحسين بن علي في الجزائر.....52

3- دعم الجزائر لأبناء الحسين علي لاسترجاع ملكهم.....52

المبحث الثالث : حمودة باشا ينتفض ضد الجزائر :.....54

1-وصول حمودة باشا للحكم.....54

2- الصراع مع صالحالباي.....55

3- عودة السلم (1787-1807م).....57

4-هزيمة الجزائر ضد تونس 1807م.....60

الفصل الرابع: العلاقات الاقتصادية بين الجزائر و تونس خلال القرن 18م.....65

المبحث الأول : الإنتاج الزراعي و الصناعي بين الإيالتين.....66

1- الإنتاج الزراعي و الصناعي في الجزائر 66

2- الإنتاج الزراعي و الصناعي في تونس.....69

المبحث الثاني: طبيعة العلاقات التجارية 71

1- صادرات الجزائر إلى تونس.....72

2- واردات الجزائر من تونس 72

3- العملة و المكاييل والأوزان المتبادلة بين الإيالتين.....73

المبحث الثالث: الطرق التجارية والقافل والأسواق.....75

1- الطرق التجارية.....75

2- القوافل 77

3- الأسواق التجارية بين الإيالتين 77

الخاتمة.....79

الملاحق.....84

البيبيوغرافيا.....94

الفهارس.....102